6 me Année, No. 261

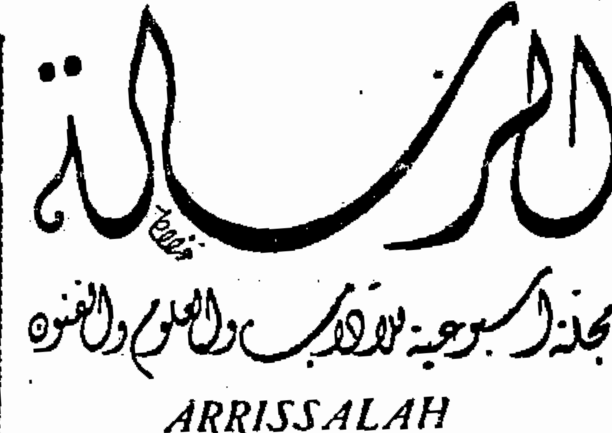
Lundi - 4 - 7 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠	فى مصر والسودان
٨٠	فى الأقطار العربية
١٠٠	فى سائر الممالك الأخرى
١٢٠	فى العراق بالبريد السريع
١	ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة



ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦١ « القاهرة فى يوم الاثنين ٦ جمادى الأولى سنة ١٣٥٧ — ٤ يولية سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

بين مصر والعـــراق

تجرى أحكام القدر على أسباب خافية من حكمة الله لا يؤثر فى منطقها مقتضيات السياسة، ولا مناسبات الظروف، ولا مجاملات الصداقة. ولو كان لهوى النفوس ومشيئة العقول أثر فى تدبير الأحداث وتغيير الأقضية لما اختُبل فى ذلك الوقت هذا الطالب العراقى المسكين فأراق على ثرى دار الحقوق البغدادية نفْس الدكتور سيف، ودم الدكتور عزمى، وهما مجاهدان غريبين فى سبيل العلم، ويؤديان مخلصين للعراق فروض المودة. وأقول فى (ذلك الوقت) لأن وقوع هذا القدر المروِّع فى هذه الساعة التى تنعقد فيها أواخى المصاهرة بين مصر وإيران أتاح لبعض النفوس الجاهلة أو المريضة أن توازن بين ما يفعل إخوان النسب وبين ما يعمل إخوان العقيدة. ومثل هذا الحادث المشئوم يقع فى كل قوم وفى كل يوم، فلا تضطرم له القلوب، ولا تضطرب به الألسنة، ولا تهن منه العلائق، ولكن وقوعه ظلماً على الغريب النافع، من القريب المنتفع، أعطاه معنى التضحية وجعل له تأثير الشهادة. وابن الوطن إذا قتل فى وطنه كان مصابه مصاب أسرته، وإذا قتل فى وطن غيره كان مصابه مصاب أمته. أضف إلى هذه

الفهـــرس

الملابسات شائعات مكذوبة وتعليقات مشوبة استطار بها السباع فدلَّست على الناس وجوه الحكم ، وآذت أصدقاء العراق وعارفيه فهبوا يصححون الخطأ في المجالس ، ويعلنون الصواب في الصحف ، رعاية لأسباب الإخاء ، وإدامةً لتعاون الفكر ، وضناً بأخلاق هذا الشعب النبيل على الأفواه القارضة

* * *

شهد الله أني قضيت بالعراق ثلاثة أعوام لم ينلني فيها كلمة تؤذي ولا فَعلة تسوء ؛ إنما كنت أتقلب في بغداد كما يتقلب الطفل على أحناء الصدر الحنون ، لا أحس غربة ، ولا أستشعر وحشة ، ولا أجد في العيون ولا على الشفاه إلا العطف عليّ والإعجاب بمصر

وربما وجد المصري في غير مصر تناكرا بين وجه ووجه ، وتدابراً بين عاطفة وعاطفة ، إلا في العراق ، فإنه يجد وجهه في الوجوه ، وهواه في الأهواء ؛ ويحس أن الأدب الذي درس ، والتاريخ الذي قرأ ، يتمثلان لباصرته وذاكرته في كل شخص وفي كل شيء ؛ ويرى أن هؤلاء الناس الذين خُلقوا كما خُلق من النهر ذي القرين الخصب ، وعاشوا كما عاش على الأرض ذات الطَّلع والحب ، لا يختلفون عنه في سَحنة ولا خلق ؛ والعراقيون من جهتهم يؤيدون حسبانه ووجدانه بالطلعة الأنيسة ، والمروءة الجزْلة ، والكرم المحض

كانت مصر إذا ذكرها في المجلس ذاكر نزعت إليها قلوب القوم كما تنزع الأسْرة إلى عَصَبتها النازحين إلى بلاد الذهب والأدب والجمال . وكان المصريون في بغداد على قلتهم منزلة ملحوظة بين الجاليات الأخرى لا تحوم حولها شبهة الارتزاق ولا سُبَّة التشرد ، لأن العراق وإن كان ضنيناً بخيره على الأجنبي الواغل ، يعرف عن المصري ما يعرفه كل الناس من عزوفه عن النقلة من قرية إلى قرية ، فكيف بالرحلة من وطن إلى وطن ؟

وهذا الذي رأيته بعيني لا أزال أسمعه بأذني من الأساتذة المصريين الذين لا يزالون يسفرون بين الشعبين الشقيقين بالثقافة والمودة. فالأحاديث التي تندس اليوم إلى الأندية اندساس الفتنة لا ترجع إلى حق ولا تذهب إلى منفعة. وهذا الحادث على فظاعته ظاهرة من ظواهر المجتمع ، يحدث في الأمم المدنية كما يحدث في الشعوب الهمجية ؛ ويقع من القريب على القريب ، كما يقع من المواطن على المواطن؛ وحقد النفس على النفس من طبائع الإنسان، وضلال العقل ووهن الأعصاب من آفات الحي ، وما يستطيع غير الله أن يعلم خواقي الصدور وخوائن الأعين

فماذا كانت تعمل حكومة العراق وأمة العراق لتدرأ ذلك العدوان الفردي المحتوم وقد تهيأت أسبابه خفية في نفس مضطربة وأعصاب موهونة ويأس مضل؟ إن الذين قالوا إنما كان هناك وعيد كُتب، وتهديد قيل، لم يثبتوا أن الصديق الجليل عزمي قد علم بهذا الوعيد ، أو أخبر الحكومة بهذا التهديد . وإذن لا يبقى إلا نزق الشباب الذي لا طِبَّ له ، وقدر الله الذي لا حيلة فيه

إن العلاقة بين مصر والعراق طبيعية لم يفتعلها طمع الاقتصاد ولا طموح السياسة ؛ إنما هي علاقة الدم واللغة والأدب والتاريخ والمجد والعقيدة ؛ فإذا طاشت يد هناك ، أو هفا لسان هنا ، فلا ينبغي أن يقع ذلك من البلدين الأخوين إلا موقع العبث الضروري الذي لا تكون الحياة دنيا إلا لوقوعه فيها ، ولا يكون الإنسان بشراً إلا لوقوعه منه

هذه كلمة كنا نود ألا نقولها، فإن الحاجة إلى تقرير الود بين الصديقين مظنة لوقوع الشك فيه، ولكن قعائد البيوت وأحلاس المقاهي لا يحبون أن يزجّوا فراغهم الثقيل إلا بزخرفة الأحاديث على حساب الحق ، فلم يكن لنا ولهم بد من هذه الهمسة !

احمد حسن الزيات

فهرس المجلد الأول من السنة السادسة

بهذا العدد يبتدئ المجلد الثاني من السنة السادسة

وقد سهونا أن نلحق فهرس المجلد الأول بالعدد الماضي وبهذا العدد وسنوزعه إن شاء الله مفصولاً مع العدد القادم

الكبريت

للأستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

« أشعلى لى سيجارة »

وكنا نسير بسرعة ، فيداى لا ترتفعان عن عجلة القيادة مخافة أن يؤدي أضأل انحراف في التوجيه إلى اصطدام بشيء . ثم إن فمها حلو ، وشفتيها رقيقتان ، وليس عليهما شيء من الأحمر ، ولست أحب السيجارة المبتلة ، ولكني قلت لنفسي إن رضابها لا بد أن يكون عذباً

وكانت السجاير بيني وبينها على المقعد ، فتناولتها ، ثم جعلت تتلفت وتتحسس باحثة عن الكبريت فقلت :

« هو فى جيبى — »

فدست يدها فى الجيب ، ثم ضحكت

قلت : « ماذا ؟ أشركينا . . . »

قالت : « ثلاث علب كبريت . . . ! ؟ ما هذا ؟ »

فصحت ، والتفت إليها برغمى ، وأحسست وأنا أفعل ذلك أن يدى ترعش

« بس ؟ »

قالت مستغربة : « بس ؟ هل تريد أن تتجر بالكبريت ؟ »

قلت : « هذه سرقة . . . لا بد أنى سُرقت . . . كان فى هذا الجيب خمس علب ، فأين ذهبت الاثنتان ؟ هه ؟ طارتا ؟ لا يمكن ! احترقتا ؟ مستحيل ! واضح جداً أنهما سُرقتا . . . فمن هو السارق يا ترى ؟ هذه هى المسألة التى تتطلب الحل السريع ... أهو أنت ؟ من يدرى ؟ »

قالت : « والله ما أخذت شيئاً ، ولا كنت أعرف أن جيبك هذا فيه كبريت . . . بل لم أكن أدرك أن هنا جيباً . . . ثم ماذا أصنع بالكبريت وأنا لا أدخن عادة ؟ »

وكان فى صوتها النفضى اللين من الجزع ما أضحكني فقلت :

« لا عليك يا فتاتى ... كونى سارقة أو لا تكونى ... فانت على الحالين ... ماذا ؟ هه ؟ قولى أنت ... »

فابتسمت — أحسست أنها تبتسم ، فقد كنت معنياً بالطريق الناص بالناس والسيارات والغنم والحمير ، والجمال . . . ولا سيما الجمال فانها شر ما أخاف ، فان لها لفزعاً غريباً من السيارات

وصمتنا قليلاً ، ثم فركت جبينها الصابح ببنانها وقالت كأنما تذكرت شيئاً :

« قلت إنه كان فى هذا الجيب خمس علب ، فهل تمنى أن فى جيوبك الأخرى كبريتاً ؟ »

قلت « لم يخب ظنى فيك يا فتاتي ... ذكية والله ! »

وكنا قد بلغنا أول شبرا ، فاستوقفتنى وزعمت أنها تريد أن تشرب ، فوقفت ، ونظرت إليها — حدقت فى وجهها — متفرساً ثم قلت :

« على بابا يا حميدة ؟ » وتناولت ذقنى بيدى

قالت : « ماذا تمنى ؟ »

قلت : « هل تريدين أن تشربى ، أو تريدين أن ترىْ ما فى جيوبى من الكبريت ؟ أنا أريحك ، وأرضى فضولك .. خذى ! »

وأخرجت من كل جيب بضع علب من الكبريت ، وألقيت ذلك كله على المقعد بيننا ، فصار كوماً صغيراً

فقالت : « إحدى عشرة علبة ! مدهش ! ما حاجتك إلى كل هذا ؟ لماذا تحشو به جيوبك ، وفى واحدة منه الكفاية ؟

قلت : « هذه أسئلة ليس لها عندى جواب . وما أضن بالجواب لو أنى كنت أعرفه ، وأحسب هذا مظهراً لبعض ما يخفى على المرء من نفسه ، فما أبالي أن أخرج وليس معى فلوس ، وليس يكربنى أن أكون فى مكان منقطع وليس معى سجاير ، فإنى أستطيع احتمال هذا الحرمان ، ولكن لا أطيق أن أمشى إلا إذا كانت جيوبى مفعمة بالكبريت ، وأشعر أن رأسى يدور ، وأنى كالضائع التائه إذا نقص الكبريت الذى معى عن حد الكفاية فى رأيي وإحساسى ... وحدُّها عندى أن تكون جيوبى ملأى ... وأن أتحسس هذه الجيوب من الخارج فأشعر بالرضى والارتياح ...

لا أدرى لماذا ولكني هكذا ... والآن أما زالت بك حاجة إلى الماء تطفئين به ظمأك ؟ »

فضحكت وقالت « أهذا مظهر لشذوذ العبقرية ؟ »

قلت « لا تتهكمى ... إن لكل منا ولعاً بشيء ، وحرصاً على شيء ... وفي وسعك أن تقولى إن لكل منا موضع ضعف ، وأحسب أن مواطن الضعف عندى كثيرة ، ولكن هذا من أبرزها ، وإن كان من أخفاها على الناس ، فإن من حسن الحظ أن الناس لا يبلغ من فضولهم فى العادة أن يتحسس بعضهم جيوب بعض ، وأظنهم يرون انتفاخ جيوبى فيظنون ما فيها ورقاً ولا يستغربون »

قالت « ولكني لا أفهم ... »

قلت « ولا أنا ... ولا أعلم حتى متى بدأت هذه العادة ... لقد اعتدت أشياء كثيرة أستطيع تعليلها . مثلا فى وسعى أن أكتب والمدافع حولى تطلق قنابلها ، فلا أكاد أسمعها ، والمحقق على كل حال ، أنى لا أتأثر بها ، ولا أشغل عما أنا فيه ... اعتدت ذلك لأن الضرورة قضت به وألزمتنيه . — ضرورة العمل فى الصحف اليومية التى يتخذ الزوار من مكاتبها مقهى أو مصطبة أو ناديا ... وأنا أستحيي أن أحجب نفسي أو أرد زائرا ، فلم يبق لى مفر من اعتياد العمل فى هذا البيمارستان ... ولكن الكبريت مسألة أخرى ... لا أذكر متى بدأت احتفظ به وأحرص عليه ... وأنت تسخرين وتقولين إن هذا مظهر لشذوذ العبقرية أو جنونها .. لا ياسيدتى ... لا عبقرية ولا يحزنون . إنما هو عندى مظهر لنزعة نفسية خفية كان من الممكن — لو أتيحت لها فرصة .. أن تظهر فى صورة أخرى ، ولكن ما هى هذه النزعة ؟؟ هذا ما لا أعرف ... ولكن أتعبنى كثرة الغوص فى أعماق نفسى على الأصل فى هذا الحرص على الكبريت ، فنفضت يدى يائسا ، وأسلمت أمرى لله ، وللمتهكمين والمتهكمات من أمثال حضرتك .... »

فضحكت ، فقلت « والآن هل نمضى ؟ »

وعدت بها إلى بيتها ، وقلت لأمها وأنا أسلم عليها « قد رددت الأمانة فاستودعك الله »

فتعلقت بى حميدة وقالت : « حتى تسمع ماما حكاية الكبريت » وسمعت « ماما » حكاية الكبريت ، واستغربت — كما كان لابد أن تفعل — وأسدت إلىّ نصحا كثيرا ، لاشك أنه نفيس ، وأكدت لى أنها تخشى على الاحتراق ، وأيدتها حميدة فزعمت أنى كالبركان الذى لا يؤمن انفجاره فى أية لحظة ، وكانت النتيجة التى لا معدى عنها أن حميدة وماما أخلتا لى جيوبى من الكبريت . . .

وانحدرت إلى الشارع ، وأنا أحس أنى كما قال القائل « خالى الوفاض ، بادي الأنفاض » وكان من المستحيل أن أعود إلى بيتى هكذا ، وماذا عسى زوجتى تقول حين ترى أن جيوبى فرغت من الكبريت ؟؟ إنها تكون حكاية لا آخر لها ، لهذا لم يسعنى إلا أن أعرج على دكان وأشتري مقدارا كافيا من رضى النفس وراحة البال ....

ابرهيم عبد القادر المازنى

التعليم الالزامى في مصر

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصرى
مدير دار الآثار العراقية

قرأت فى مجلة مصرية مقالة لأحد الأساتذة ، يقول فيها : «إن تقارير مفتشى التعليم ومراقبيه» أظهرت فى السنين الأخيرة شيئاً جديداً لم يكن ملحوظاً من قبل ، وهو أن الأولاد الذين يمارسون الزراعة فى الحقل أو الصناعة فى المعمل أو التجارة فى السوق من متخرجى المدارس الالزامية ، لا تكاد تمضى عليهم أربع سنوات أو خمس ، حتى ينسوا القراءة والكتابة ، وتمحى من ذا كرتهم البقية الباقية من الحروف الأبجدية ، فيعودون بذلك إلى الأمية مرة أخرى ... »

إننى لم أطلع على نصوص التقارير التى يشير إليها صاحب المقال ، فلا أعرف تفاصيل ما لاحظه المفتشون فى هذا الباب . ومع ذلك لم أجد فى هذه النتيجة شيئاً يستوجب الاستغراب ، نظراً إلى ما أعرفه عن الظروف المحيطة بالتعليم الالزامى فى مصر من جهة ، وعن التجارب التى مرت على الأمم الغربية فى هذه القضية من جهة أخرى ...

إننى لا أشارك المحرر فى الأسباب التى يعزو إليها هذه النتيجة ، كما لا أوافقه على الوسائل التى يقترحها لمعالجة القضية . ومع هذا لا أرى لزوماً لمناقشة الآراء الواردة فى المقال المشار إليه ، بل أفضل أن أبحث عن القضية من « أساسها » ، بقطع النظر عن آراء المحرر فيها

— ١ —

يظن الكثيرون أن « تعليم القراءة من الأمور البسيطة » التى يستطيع أن يقوم بها كل من « يعرف القراءة والكتابة » وبالأحرى كل من يعلم شيئاً من « مبادئ أصول التدريس » . فى حين أن هذا التعليم من الأعمال الدقيقة المحفوفة بالمزالق الكثيرة التى لا يمكن تجنبها إلا بيقظة متواصلة وتمرن خاص .. لأن « تعليم القراءة » لا يعنى « تعويد الطالب على قراءة بعض الكتب المعينة » ، بل يعنى « إكساب الطالب مقدرة على قراءة أى كتاب كان »

ومع هذا ، فكثيراً ما نجد أن المعلمين لا يقدرون خطورة هذا المبدأ حق التقدير ؛ فيوجهون جهودهم إلى تعليم القراءة من الكتب المدرسية المخصصة لهذا الغرض ، دون أن يمرنوا الطلاب على القراءة السريعة بوجه عام

فى حين أن الطلاب كثيراً ما يتعلمون قراءة تلك الكتب على طريقة الاستظهار ، دون أن يجهدوا أنظارهم وأذهانهم فى تتبع الكلمات المطبوعة فى سطورها . وكثيراً ما ينخدع المعلمون بسرعة هذه القراءة ، فلا ينتبهون إلى أن الطالب قد قرأ معظم ما قرأه عن ظهر الغيب ، دون ملاحظة الكتاب . وهذه الحالة تتفشى بوجه خاص ، عند ما يكون الصف مزدحماً بالطلاب ، وعند ما يتمشى المعلم فى تدريسه على طريقة ميكانيكية ، لا نصيب فيها لليقظة والاهتمام . يقرأ المعلم العبارة بنفسه بصوت جهورى ، ثم يطلب قراءتها من أحد الطلاب ، ثم من ثان ، فثالث ، فرابع ؛ ويكرر هذه العملية عشرات المرات .. وكثيراً ما تنصرف أنظار القسم الأعظم من سائر الطلاب — خلال هذه القراءة والتكرار — عن أسطر الكتاب إلى أشياء أخرى ؛ غير أن آذانهم تبقى مستهدفة لتأثير الألفاظ التى يلفظها المعلم ويكررها سائر الطلاب ، بطبيعة الحال . وإذا ما تكررت قراءة العبارات عدة مرات ، يكون هؤلاء الطلاب قد حفظوا الشىء الكثير منها عن طريق السمع ؛ وإذا ماجاء دورهم فى القراءة ، أخذوا يقرأونها « قراءة ظاهرية » تكون حصة النظر فيها محدودة جدا ، ويكون العامل الأصلى فى سرعتها هو الحافظة السمعية وحدها ..

ولذلك كثيراً ما نرى بعض الطلاب « يقرأون دون أن ينظروا » ؛ وإذا ما طلب إليهم أن يبدأوا القراءة من محل غير المحل المعتاد ، يضطرون إلى التهجى ، فيقرأون بتلعثم وتردد وبطء ؛ غير أنهم إذا ما تمكنوا من قراءة الكلمة الأولى بعد هذا الجهد ، فتذكروا الكلمة التى تليها ، أخذوا يستعينون بذاكرتهم السمعية ، فساروا يقرأون ما بعدها بسرعة واسترسال ... وكثيرا ما لا ينتبه المعلمون إلى « حقيقة الأمر » فى هذه القراءة الظاهرية وينخدعون بهذه السرعة ، ويظنون أنهم نجحوا فى تعليم القراءة ..

شاهدت هذه الحالة في عدد غير قليل من المدارس في دروس مئات من المعلمين ، وما أعرفه عن مدارس التعليم الالزامي في مصر يخولني حق الجزم بأن هذه الحالة ليست من الأمور النادرة هناك أيضاً ...

وعندما تكون طريقة تدريس القراءة مشوبة بهذه الصورة بنواقص وشوائب كثيرة ، فلا حاجة للبيان بأن عدداً غير قليل من الطلاب عندما ينتهون من الدراسة الالزامية ، لا يكونون قد تعلموا القراءة بكل معنى الكلمة ، بل يكونون قد تعلموا قراءة بعض الكتب قراءة ميكانيكية ، لم تخرج من دور التهجي والتردد إلا باعانة الذاكرة السمعية ... فهل من مجال للاستغراب إذا ما فقد هؤلاء خلال بضع سنوات ما كانوا قد اكتسبوه من المقدرة السطحية في القراءة الميكانيكية فعادوا إلى الأمية بصورة تدريجية ؟

فاذا أردنا أن ننجو من هذه المزلقة الآلية ، يجب علينا أن نهتم باصلاح طرق تعليم القراءة ، ونسعى إلى حمل الطلاب على قراءة كتب متنوعة ، فنتجنب كل ما من شأنه أن يجعل القراءة ميكانيكية وظاهرية

— ٢ —

مع هذا يجب عليّ أن أصرح بأن كل ذلك أيضاً لا يضمن معالجة المشكلة التي نبحث عنها معالجة قطعية

لأن « مقدرة القراءة » في حد ذاتها ليست من الأمور التي ترسخ في النفس بمجرد اكتسابها ، بل هي من القابليات التي لا تعيش وتنمو إلا بالعمل والتكرار والمران .. إنها من القابليات التي تضعف وتتلاشى شيئاً فشيئاً عندما تبقى « عاطلة » ولا تجد مجالاً للعمل بصورة متصلة ...

إفرضوا أن طالباً مجتهداً ونبيهاً ، قد تعلم القراءة بصورة جيدة ، فأصبح قادراً على قراءة الكتب بصورة مرضية ... ثم تصوروا أن هذا الطالب ترك القراءة ، بعد خروجه من المدرسة ؛ فقد مضى عليه عدة سنوات دون أن يقرأ شيئاً ، ودون أن يجد في بيئته دافعاً يدفعه إلى استعمال قابلية القراءة التي كان اكتسبها قبلاً . لاشك في أن القابلية المبحوث عنها سوف لا تحافظ على قوتها مدة طويلة من الزمن ، بل ستكون عرضة للضعف بصورة تدريجية ... وستزداد هذا الضعف على مر السنين فيعود صاحبها إلى دور القراءة «بالتهجي» كالمبتدئين ؛ وإذا استمر الحال على هذا المنوال مدة أخرى ، فسيفقد قابلية القراءة التي كان اكتسبها في المدرسة ، وسيعود إلى الأمية مرة أخرى

وهذا هو ما يحدث في الحياة الاعتيادية . في كثير من الأحيان ينتهي الطفل من التعليم الالزامي فيترك المدرسة ويذهب إلى الحقل أو المعمل ، للاشتغال مع والديه ... ولا يجد هناك فرصة لتغذية القابلية التي كان قد اكتسبها ، ولا يشعر بدافع يدفعه إلى قراءة شيء يحرك ويجدد تلك القابلية ، فينسى في حياته الجديدة ، بصورة تدريجية كل ما كان اكتسبه في حياته المدرسية ...

إن القول بأن « التعليم في الصغر كالنقش في الحجر » بصورة مطلقة ، لا يتفق مع الحقائق الراهنة : فان الدماغ ليس من نوع الأحجار الجامدة التي تحافظ على كل ما ينقش فيها ؛ والقابليات التي يكتسبها الدماغ لا تشبه النقوش التي تحفر على الحجر بوجه من الوجوه ؛ ولا سيما دماغ الطفل ، فانه يمتاز بمرونة كبيرة ، يكتسب بسرعة ، غير أنه قد يفقد أيضاً بسرعة

هذه حقيقة هامة يجب أن نضعها نصب أعيننا عند ما نفكر في أمر التعليم الالزامي ومكافحة الأمية : يجب علينا أن نهتم بتغذية قابلية القراءة وتقويتها — بعد المدرسة — بقدر ما نهتم بتوليدها وتنميتها في المدرسة ... يجب علينا أن نتوسل بشتى الوسائل التي تدفع إلى القراءة — بعد الانتهاء من الدراسة الالزامية — خلال مزاولة أعمال الحياة الاعتيادية ...

وإلا ، فيجب علينا ألا نستغرب إذا ما وجدنا « قابلية القراءة » التي بذلنا كل تلك الجهود في سبيلها قد أخذت تندثر وتتلاشى شيئاً فشيئاً ... و « الأمية » التي قضينا كل تلك الأوقات في سبيل مكافحتها داخل المدرسة وفي سن الطفولة ، عادت إلى الحكم بعد مدة ، فاستولت على النفوس تدريجياً في ساحة الحياة ، وفي سن الرشد والشباب ...

— ٣ —

إن تجارب الأمم الغربية — المسطورة في تواريخ معارفها — تؤيد الملاحظات النظرية التي سردناها آنفاً ؛ فان رجال معارف

تلك الأمم أيضاً كانوا قد اصطدموا بالمشكلة التي بحثناعنها، في بدء انكبابهم على تعميم التعليم ومكافحة الأمية ؛ وهم أيضاً كانوا قد لاحظوا — عندئذ — أن معظم الطلاب الذين يتخرجون من المدارس الابتدائية ويدخلون معترك الحياة ، ينسون بصورة تدريجية الكثير مما كانوا تعلموه في المدرسة خلال سني التعليم الالزامي . وكثيراً ما يصل بهم الأمر إلى درجة «نسيان الأبجدية» والعودة إلى الأمية

إن هذه النتيجة تمثلت للعيان ، على وجه أخص ، عندما أخذوا يفحصون معلومات الراشدين الذين يلبون السن العسكرية فيدخلون الثكنات ... فقد وجدوا بين هؤلاء الجنود عدداً غير قليل من الذين لا يستطيعون أن يقرأوا شيئاً بالرغم من أنهم تعلموا القراءة والكتابة — في طفولتهم — في المدارس التي داوموا فيها

ولذلك أخذوا يبذلون الجهود الكبيرة لمعالجة هذه المشكلة ، ويتوسلون بوسائل شتى لتوقي هذه النتيجة

وكان من جملة الوسائل التي توسلوا بها إحداث دروس ومدارس تجمع الراشدين أيام الأحد ، أو أحد ليالي الأسبوع طول السنة ، أو خلال بعض الأشهر منها بقصد «تكرار» و «ترسيخ» المعلومات التي كانوا اكتسبوها خلال دراستهم الابتدائية . . .

إن الألمان الذين كانوا أسبق أمم الغرب إلى تطبيق نظام التعليم الالزامي ، أحدثوا مثل هذه الدروس منذ القرن الثامن عشر ، وجعلوا المواظبة عليها من الأمور المحتمة على كل فرد ، منذ انتهائه من الدراسة الابتدائية حتى دخوله الخدمة العسكرية ...

إن كثيراً من الأمم الغربية حذت حذو الألمان في هذا الباب ، في القرن التاسع عشر ، وأحدثت مثل هذه الدروس والمدارس ، تحت أشكال وأسماء مختلفة . . .

في الواقع أن الحاجة إلى التوسل بمثل هذه الوسائل قد زالت من الغرب ، نظراً إلى انتشار القراءة والكتابة بين جميع الطبقات ، وازدياد حاجة الناس إليها في كل البيئات وفي جميع نواحي الحياة ، وانتشار الكتب التي تلذ الناس وتفيدهم مع ازدياد المكتبات التي أصبحت في متناول أيديهم . . . فان كل ذلك لم يدع — في البلاد الغربية — حاجة لإدامة الدروس والمدارس التي كانت تستهدف «التكرار» و «الترسيخ» . . . ولذلك حدث تطور عظيم في أهداف الدروس والمدارس الخاصة بالراشدين . غير أن الأهداف الحالية والتطورات الأخيرة يجب ألا تنسينا الغرض الأصلي الذي كان استوجب إحداث مثل هذه الدروس والمدارس . ويجب أن نلاحظ على الدوام أن تلك الدروس والمدارس لعبت دوراً هاماً في ضمان نجاح التعليم الالزامي ، ومكافحة الأمية في عهودها الأولى

* * *

إنني أعتقد أن الملاحظات الآنفة الذكر تكفي لاظهار أنواع الواجبات التي تترتب على وزارات المعارف التي تهتم بأمر التعليم الالزامي ومكافحة الأمية :

يجب عليها أن تسعى لتحسين طرق تدريس القراءة ، وتدريب المعلمين للقيام بأعباء هذا التدريس

كما يجب عليها أن تتخذ التدابير اللازمة لايجاد سلسلة كتب ونشرات ملائمة لحاجات الناس وميولهم ، على اختلاف مهنهم وبيئاتهم . . .

ويجب عليها أن تتوسل بوسائل متنوعة لنشر تلك الكتب بين الناس ، لتسهل تغذية رغبة المطالعة في نفوسهم ...

وأخيراً يجب عليها أن تتوسل ببعض الوسائل التي تضمن اجتماع الشبان في المدرسة من حين إلى حين — بعد انتهائهم من سني التعليم الالزامي — لإدامة علاقتهم بالدرس والمطالعة بصورة منتظمة . . .

وإذا لم تفعل ذلك يجب أن تعلم جيداً أن الجهود التي تبذلها والنفقات التي تنفقها في سبيل نشر التعليم في الأرياف وبين جميع طبقات الناس ، لا تثمر الثمرة الكافية ، ولا يبعد أن يذهب معظمها هباء منثوراً . . .

أنتهز هذه الفرصة لألفت أنظار وزارات المعارف في البلاد العربية — ولا سيما في مصر — إلى هذه الواجبات التي تترتب عليها لإتمام مهمتها في نشر التعليم ومكافحة الأمية بصورة فعلية

قلت : لاسيما في مصر ... لأنها المملكة العربية الوحيدة التي استطاعت أن تسن قانوناً للتعليم الالزامي ، وأن تضع خطة عملية لتنفيذ أحكام ذلك القانون ، وتحقيق نشر التعليم بين جميع طبقات الناس وفي جميع أنحاء البلاد . . . فعليها — قبل غيرها — يترتب واجب الاسراع في اتخاذ التدابير التي سردناها آنفاً . . .

(بغداد) ساطع الحصري

قصة الكلمة المترجمة

(القتل أنفى للقتل)

لأستاذ جليل

تتمة

انتشرت كلمة الشيخ عبد العزيز الأزهري (البلاغ ٢٠ رجب ١٣٥٢) فكتب الأستاذ الرافعي (رحمه الله) مقالة عنوانها (ليست جاهلية) — البلاغ ٢٢ رجب ١٣٥٢ — قال فيها .

« أثبت الأستاذ عبد العزيز الأزهري فيما نشره في البلاغ أن هذه الكلمة عربية واحتج لذلك بحجج أقواها : زعمه (أنها وردت بين ثنايا عهد القضاء الذي بعث بسيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعري) ولا ندرى أين وجد الكاتب كلمة (القتل) فضلا عن (القتل أنفى للقتل) في ذلك العهد المشهور المحفوظ ، وقد رواه الجاحظ في البيان والتبيين، وجاء به المبرد في الكامل ، ونقله ابن قتيبة في عيون الأخبار ، وأورده ابن عبد ربه في العقد الفريد ، وساقه القاضي الباقلاني في الاعجاز ، وفي كل هذه الروايات لم تأت الكلمة في قول عمر ، بل لا محل لها في سياقه ، وإنما جاء قوله (فان أحضر بينته أخذت له بحقه ، وإلا وجهت عليه القضاء . فان ذلك أنفى للشك) أما سائر حجج الكاتب فلا وزن لها في باب الرواية التاريخية وقد أصبح عاليها سافلها كما رأيت »

قلت : كتاب احمد ابن عبد ربه اسمه (العقد) والفريد زيادة نسخ ومطبعة . قال ابن خلكان : (وصنف كتابه العقد وهو من الكتب الممتعة) وقال الفتح ابن خاقان : (وله التأليف المشهور الذي سماه بالعقد) والكتب التي سميت العقد الفريد هي (العقد الفريد في أحكام التقليد ، العقد الفريد في انساب بني أسيد ، العقد الفريد في علم التجويد ، العقدالفريد في علم التوحيد ، العقد الفريد، للملك السعيد)

وقلت : جاء (القضاء) في البيان والتبيين ، والعقد ، وعيون الأخبار . ووردت (القضية) في الكامل ، وإعجاز القرآن . وجاءت (استحلت) في هذين الكتابين . والقضاء والقضية مصدران ، والاسم القضية فقط ؛ و (القضية العصرية) لاتعرفها العربية . والعبارة في العهد أو الرسالة (فان ذلك أنفى للشك) قول عربي متناسب ، و(النفي) نازل فيه منزله . ورسالة الفاروق إلى أبي موسي مشهورة ، وقد رواها رواة وعزوها إليه . وذكر الجاحظ في البيان والتبيين كتابا من عمر إلى الأشعري (رضي الله عنهما) فيه تعليم وإرشاد وتذكير ، والله أعلم

وقال الأستاذ الرافعي (رحمه الله) .

« والذي أنا واثق منه أن الكلمة لم تعرف في العربية إلا في أواخر القرن الثالث من الهجرة . وهذا الامام الجاحظ يقول في موضع من كتابه (البيان والتبيين) في شرح قول علي كرم الله وجهه : (بقية السيف أنمى عددا وأكثر ولدا) ما نصه : (ووجد الناس ذلك بالعيان للذي صار إليه ولده من نهك السيف وكثرة الذرء وكرم النجـــل . قال الله تبارك وتعالى : (ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب) وقال بعض الحكماء : قتل البعض حياة للجميع . ولم يزد الجاحظ على هذا . ولوكانت الكلمة معروفة يومئذ لما فاتته كما هو شنشنه في كتبه ، وهذه العبارة الأخيرة (قتل البعض...) هي التي زعم الرازي في تفسيره أنها للعرب ... فلا عبرة في هذا الباب بكلام المفسرين ولا المتأخرين من علماء البلاغة ، وإنما الشأن للتحقيق التاريخي »

قلت : في النسخة المطبوعة : (قتل البعض إحياء للجميع) ولم تجيء هذه العبارة والآية الكريمة قبلها في شرح قول علي (رضي الله عنه)— أن قصد أنهما جاءتا شرحا له ، فالمقاصد مختلفة . وإيراد الجاحظ الآية والعبارة هو كعادته في إملاء ماعليه في كتابه ، وقد وردت قبل جملة وكلمة المهلب في معناها أقوال متنوعة ، وتلت الآية والعبارة مقطوعة لهمام الرقاشي ، ثم تبع الشعر قول لخارجية يشا كل الجملة العلوية ، ثم خبر وشعر ، ثم أحاديث متنوعة . وإن حسب الجاحظ أن الآية والعبارة تحكيان (بقية السيف...) فقد أخطأ حسبانه

ثم روى الأستاذ الرافعي (رحمه الله) قولا للجاحظ في (حجج النبوة) في القوم الذين كانوا يولدون الأخبار ويطمنون بها على (الكتاب) ثم قال : « وإن لم ينهض الدليل القاطع على أن تلك الكلمة مترجمة عن الفارسية بظهور أصلها في تلك اللغة ؛

ورجوعه إلى ما قبل الاسلام فهى ولا ريب مما وضع على طريقة ابن الراوندى الذى كان فى منتصف القرن الثالث »

قلت : الكلمة لم تظهر فى مصنفات نعرفها فى القرن الثانى أو الثالث فينسبها إلى أحد من العرب أو غيرهم ناسب أو يقصد بها مقصد ابن الراوندى وتلك الشرذمة شر ٍّ . وما هى إلا قول من جنس الأقوال الفارسية والأغريقية التى ترجمها النقلة وروى مثل الثعالبي وابن هند وطائفة منها

***

ظهرت مقالة الأستاذ الرافعى (رحمه الله) فنشر البلاغ (٢٥ رجب ١٣٥٢) كلمة للشيخ عبد العزيز الأزهرى عنوانها (القتل أنفى للقتل) قال فيها : « لأول مرة فى حياتى الأدبيـة أقرأ للأستاذ البحاثة مصطفى الرافعى كلاماً يخترمه التناقض ، وينسف آخره أوله . إن الأستاذ محق فى أن نسبة الجملة الماضية إلى وثيقة القضاء التى بعث بها سيدنا عمر إلى أبي موسى الأشعرى ليست حقيقية ، ومما لا شك فيه أن الذى أوقع فى حسبانها منها مشابهتها لعجز الجملة الآتية فى الرسـالة : (فانه أنفى للشك) وقليلون هم أولئك الذين يشبهون الأستاذ فى قوة الذاكرة ، ووفرة كتب المراجعة ، وانفساح الوقت . و (ظروف) المدرسية وأكداس الكراسات التى تنوء بالعصبة أولى القوة (أرغمتنى) على أن لا أتصفح الجرائد إلا إلماماً مثل حَسْو الطير ماء الثماد[1] ، فنى اللحظة التى كنت أتنجع فيها الراحة وقع نظرى على كلة الأستاذ النشاشيبي وفيها يرى أن الجملة مترجمة لا جاهلية ولا مولدة، فكان ردى عليها أنها عربية ، وبرهنت على ذلك بعدة أدلة ، لهذا غشيتنى الدهشة عندما حكم الأستاذ بأن الأدلة التى ذكرت أصبح عاليها سافلها لنقض بعضها ، فهل عدم العثور عليهـا فى عهد القضاء (يترتب عليه) » ثم ذكر ما يثبت عنده جاهلية تلك الكلمة مفصلا

١ — عدم الحاجة إلى اقتراض هذه المعانى

٢ — خشونة الجملة

٣ — عنجهيتها البدوية

٤ — رنين لفظة القتل فى المسامع

٥ — حالة العرب قبل البعثة أسالت على شباة ألسنتهم (يعنى حكماءهم) أمثال هذه المعانى ثم قال : « ومما أعجزنى فهمه ادعاء بحاثتنا الكبير أن الكلمة لم تعرف إلا فى أواخر القرن الثالث الهجرى » ثم قال : « الحق الذى لا مرية فيه أن القتل أنفى للقتل كلة عربية لحماً ودماً وعصباً ، وأن قلم الأستاذ خانه فى هذه المرة فكان من نتائج شطحاته : أن (انزلق) به إلى هـذا الحكم . فليتقبل منى الأستاذ الأديب هذا الرأى وليثق أنه لم يؤثر فى منزلته فى نفوسنا هذا الشطط ؛ إلا بمقدار ما تنداح دائرة »

قلت : وجدت كلام الشيخ فى الأستاذ الرافعى (رحمه الله) طرفة فرويته ، والله يشهد أنى ما قصدت بروايته تنقص قائله

***

ثم نشر البلاغ فى اليوم الثانى (٢٦ رجب ١٣٥٢) كلة عنوانها (ليست جاهليـة ولا مترجمة !) للفاضل (أمين حافظ شرف بنيابة طنطا) قال فيها : « عاد الأستاذ الأزهرى إلى دعواه أن كلة (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، ولم يضف إلى براهينه الأولى شيئاً يعتمد عليه فى تأييد هـذه الدعوى رغم اعترافه بأنها لم ترد فى عهد القضاء من عمر إلى أبي موسى كما وهم أولا ونبهه إلى وهمه الأسـتاذ الرافعى ، وكل ما جاء به ليبرهن على جاهليتها بعض استنتاجات فرضية لا تقوم عليها دعوى . أما وقد بيّن الأستاذ مصطفى صادق الرافعى أن تلك الكلمة لم تعرف قبل القرن الثالث الهجرى ولم يروها أحـد إلى ذلك العهد على كثرة ما روى عن الجاهليين فلا محل للقول بأن هناك أدلة عقلية أو منطقية ، فهى ليست جاهليـة ولا مترجمة ؛ إلا أن تؤيدها الرواية الصحيحة أو يعرف أصلها الأعجمى ! »

قلت : قول السيد أمين (رغم اعترافه) عربيته : رمع اعترافه أو على اعترافه) والمعروف الاعتراف بالذنب ، يقال : اعترف بذنبه وفى (الكتاب) : « وآخرون اعترفوا بذنوبهم » وفى حديث عمر : « أطردوا المعترفين هم الذين يقرون على أنفسهم بمـا يجب عليهم فيه الحد والتعزير ، كأنه كره لهم ذلك ، وأحب أن يستروه

---

[1] ذكرنا هذا القول بأبيات لأعرابى جيدة ، وهى من مختار (الكامل):

ما لعينى كحلت بالسهاد ولجنبى نابياً عن وسادى
لا أذوق النوم إلا غراراً مثل حسو الطير ماء الثماد
ابتغى إصلاح سعدى بجهدى وهى تسعى جهدها فى فسادى
فتاركنا على غير شىء ربما أفسد طول التمادى

على أنفسهم » كما ذكرت (النهاية) و (استنتاجات) فى كلمة (الأمين) غريبة فى العربيات

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ (غرة شعبان ١٣٥٢) كلمة عنوانها (أسئلة القتل أنفى للقتل) للأستاذ (أزهرى ، المنصورة) قال فيها : « الظاهر أن الشيخ عبد العزيز الأزهرى يريد أن تكون (القتل أنفى للقتل) جاهلية ، فان يتشبث برأيه ولا يرجع عنه يُطالبْ بجواب هذه الأسئلة :

المجمع عليه أن اللغة العربية هى لغة الرصانة والأحكام فلن تضع كلمة إلا موضعها ، فهل يجوز أن تستعمل العربية (النفى) فى تلك الجملة ؟ وما معنى (القتل أنفى للقتل) ؟ وهل توضح ألفاظ الجملة معناها ؟ وما معنى (النفى) فى اللغة ؟ وهل استعملت مادة (ن ف ى) واللغة لغة والعرب عرب ، فى مثل هذا المقصد ؟

فاذا أقام الشيخ عبد العزيز دهراً طويلا يبحث فلا يجد النفى فى العربية مثل هذا الاستعمال، فهل تبقى (القتل أنفى للقتل) جاهلية أو عربية ؟

قلت : النفى : التنحى ، التنحية ، الطرد الابعاد عن البلد ، التساقط : تساقط الشعر ، التغريب الذى جاء فى الحديث ، الجحد (ومنه نفى الأب والابن يقالُ : ابن نَفيّ إذا نفاه أبوه) كما فى التاج ، الرد (نفيت الشيء إذا رددته ، وكل ما رددته فقد نفيته)

ولو استُبدل (القتل) بـ (النفى) فى العبارة الفارسية فقيل : القتل أقتل للقتل لصح اللفظ، ولكن تدهى الأذن والدماغ والعصب والجسم حينئذ داهية ، وتجيء ثلاث « قافات خشنة كل قاف كجبل قاف » كما قال أحمد بن الحسين الهمذانى (1) وتخالف العبارة قول المتنبى (2) :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا قلاقل عيس ، كلهن قلاقل

قال العكبرى فى (شرح التبيان) : « عاب الصاحب اسماعيل ابن عباد أبا الطيب بهذا البيت وقال : (ماله — قلقل الله أحشاءه — وهذه القافات الباردة) قال أبو نصر بن المرزبان : ثلاثة من الشعراء رؤساء، شَلْشلَ أحدهم، وسلسل الثانى، وقلقل الثالث. فالذى شلشل الأعشى (1) والذي سلسل مسلم (2) وأما الذى قلقل فالمتنبي . قال الثعالبي : فقال لى أبو نصر : فبلبل أنت . قلت له : أخشى أن أكون رابع الشعراء ... ثم قلت بمدمدة :

وإذا البلابل أفصحت بلغاتها فانف البلابل باحتساء بلابل (3)

* * *

كان خطأ مطبى فى الكلمة السابقة (أسئلة) فنشر الأستاذ (أزهرى المنصورة) كلمة عنوانها (التطبيع) — البلاغ ٨ شعبان — قال فيها : « بعثت إلى (البلاغ) والقوم يقتلون فيه (القتل أنفى للقتل) بحثاً — وقد قُتِلت ، وقد رُمِست ، وللأقوال كما للقائلين آجال — بكلمة فيها أسئلة ، ولما جاءت إلىّ الجريدة وجدت وذكر الكاتب الخطأ المطبى (لا الأخطاء كما يقول بعض الأدباء) ثم قال : فعجبت وما عجبت ، وقلت هى المطبعة ، وهى السرعة فى العصر البراقّ . وقد أردت أن أسمى مثل هذا فقلت : لما كانت الصحيفة والصحف والصحائف والقلم الكاتب قالوا : (التصحيف) فهل لنا — واليوم يوم المطبعة — أن نقول (التطبيع) وقل من يستعمل هذه اللفظة فى هذا الزمان للمعنيين القديمين . والصحيفة الخطأ فى الصحيفة مولدة ، والتطبيع (الخطأ المطبى) عصرية بنت العصر ، وفى بنات العصر كريمات »

* * *

ثم ظهرت فى البلاغ ١٦ شهر رمضان ١٣٥٢ كلمة عنوانها (القتل أنفى للقتل مولدة لا جاهلية) للأستاذ محمود محمد شاكر قال : « كانت هذه الكلمة سبباً فى لجاج بعض الكتاب حين قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعى فى مقاله الذى نشره فى بلاغ السبت (١٥ رجب سنة ١٣٥٢ — ٤ نوفبر سنة ١٩٣٣) بعنوان كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة) : (أنا أقرر أن هذه الكلمة مولدة

(١) صاحب المقامات والرسائل وهو عربى الأصل كما قال الدكتور عبد الوهاب عزام فى (الرسالة) وقد أخبرتنا مجلة (المصور) الأسبوعية فى هذه الأيام أنه فارسى جزى الله المحققين فى دار الهلال خيراً . . .

(٢) أبو الطيب شاعرنا العظيم ، وهذا بيت فى أبيات قالها فى صباه فى وعكة أو مرض

(١) وقدغدوت إلى الحانوت يتبعنى شاو مشل شلول شلشل شول

(٢) سلت فسلت ثم سل سليلها فأتى سليل سليلها مسلولا

(٣) بلابل الأخيرة جمع بلبلة وهى الكوز

وضعت بعد نزول القرآن الكريم ، وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها) وقد قال بعض الكتاب بترجمتها عن اللغات وقد بحثت طويلا عن أصلها وكنت أود أن أسوق الأدلة كلها على نفيها عن عرب الجاهلية ، ولكن لا يتسع وقتي الآن لذلك ، ثم وجدت أخيرا النص القاطع على أنها ليست من كلام الجاهلية في كتاب الايجاز والاعجاز لأبي منصور الثعالبي المطبوع بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ مع رسائل أخرى « ثم نقل كلام الامام الثعالبي وفيه « ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : القتل أنفى للقتل » وقد رُوي النصُّ كله من قبل في كلمة الكوكب ثم قال الأستاذ محمود : « وهــذا نص يؤيد ما ذهب إليه الرافعي ولا موضع للجدل بعده »

***

فنشر الأستاذ (أزهري المنصورة) بعد هذا القول كلمة عنوانها (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية في العربية) — البلاغ ١٩ شهر رمضان ١٣٥٢ — ومما قاله : « هذا النص بنفسه قد أورده الأستاذ النشاشيبي في جريدة (كوكب الشرق في (١٢) رجب ١٣٥٢ وكان قول الثعالبي من جملة الأدلة على أن تلك الكلمة مترجمة ، ويظهر أن الأستاذ محمودا لم يقرأ المكتوب في الكوكب إذ لو رآه ما كان أتعب النفس في نقل ذلك النص . وكان قول الأستاذ الرافعي في تلك الكلمه المترجمة في (١٥) رجب ٣٥٢ وقد طلب الأستاذ الأصل الفارسي ، والظفر بالمطلوب في هذا الوقت مستحيل . ولولا ذلك لسألنا العالم الهمام الدكتور عبد الوهاب عزام الأستاذ في الجامعة المصرية أن يهدينا إلى مظنته.

الأقوال المنقولة عن الفارسية بعضها عزي إلى أهله فعرفناه، وبعضها جهل أصله فلم يدر أعربي هو أم فارسي . فهل للنابغة العالم بلغة العرب والأعاجم الدكتور عبد الوهاب عزام أن يطرف الناس بحثا مستفاضا فيه عن الأقوال الفارسية في العربية

آباء عزام كان (قِرَى الأضياف سجيّتهم ، ونحر العشار دأبهم وهجيراهم[1]) وقد جمع الأبناء بين القِرَيَيْن : قرى الضيفان بالجفان[2] وقرى العقول والأذهان بالعلم والعرفان »

***

وفي (البلاغ ٨ شوال ١٣٥٢) ظهر قول عنوانه : (الكلمة المترجمة ، الأقوال الفارسية في العربية) للدكتور عبد الوهاب عزام . وهذا هو القول : « نشر فاضل (أزهري) كلمة في البلاغ تحت العنوان المصدرة به هذه الأسطر ، تناول فيه الكلام عن الأقوال الفارسية المنقولة إلى العربية ، وطلب مني أن أكتب ما أعرف في الموضوع ، وأحسن الظن بي وبآبائي ، فأثنى علينا بما شاء له خلقه الكريم وأدبه الرفيع .

وإني ليؤسفني أن فاتتني هذه الكلمة فلم أطلع عليها حتى تفضل أديب العرب الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي فأرسل إلي من فلسطين قطعة من البلاغ تتضمن كلمة الأديب (أزهري)

فالآن أبادر إلى شكر أستاذنا النشاشيبي والاعتذار إلى أديبنا (أزهري) وشكره ، راجياً أن أشرّف بإجابة دعوته إلى الكتابة في هذا الموضوع حين يتيسر لي ما تصديت لمعرفته وجمعه من الكلمات في هذا الصدد »

قرأ الأستاذ (أزهري المنصورة) قول الدكتور عبد الوهاب عزام فنشر كلمة عنوانها (موهبة الله واهبها، الدكتور عبد الوهاب عزام) — البلاغ ١٩ شوال ١٣٥٢ — قال فيها : « قال المحبي في (خلاصة الأثر) : تعلم العلامة البوريني اللغة الفارسية حتى صار يتكلم بها كأنه أعجمي ، وفي ذلك يقول:

تعلمت لفظ الأعجميّ وإنني ... من العرب العرباء لا أتكتّم[3]

---

(١) من قول في (المفتاح) عند الكلام عن الالتفات ، وبعده : افترام يحسنون قرى الأشباح فيخالفون فيه بين لون ولون ، وطعم وطعم ، ولا يحسنون قرى الأرواح فلا يخالفون فيه بين أسلوب وأسلوب وإيراد وإيراد

(٢) قلت : قال الكاتب الجملة إعرابية ، والكلام الصحيح : قرى الضيفان في أكرم آنية شرقية وغربية في المائدة ، في الخوان أو على الطشتخان ، وهذا ما عايناه عند القوم في حلوان

الطشتخان معربه الفاثور وهو الخوان من رخام وقيل من فضة أو ذهب كما في الأساس

(٣) الذي وجدناه : كتم ، كاتم ، اكتتم ، كتّم — بالتشديد — استكتم ، فهل وجد البوريني تكتّم في كلام

وما كان قصدي غير صون حديثكم
إذا صرت من شوق به أترنم

وإن كنت بين المعجمين فمعرب وإن كنت بين المعربين فمعجم
فأغدوا بأشواقي إليكم مترجماً وسركم في خاطري ليس يعلم

وقد تعلم العلامة الأستاذ الكبير (الدكتور عبد الوهاب عزام) اللغة الفارسية والتركية وغيرها من لغات الأعاجم وحذقها، كما نبغ في العربية وأدبها ليستفيد نشء العرب — قل وشبابهم وشيبهم — من بحثه وتحقيقه، وتفتيشه وأدب درسه استفادتهم من سيرته وخلقه وأدب نفسه، وليهدي في المشكلات من يستهديه، وليظهر للناس ذلك الكنز العظيم الذي أثرت به العربيــة. والكنز المعنى هو (الشاهنامه). قال ضياء الدين بن الأثير: (كما فعل الفردوسي في نظم الكتاب المعروف بشاه نامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس؛ وهو قرآن القوم، وقد أجمع فصحاؤهم على أن ليس في لغتهم أفصح منه)

إن الذي عند الدكتور عبد الوهاب عزام — قلت أو الدكتور موهوب عزام — هو موهبة، الله واهبها، والله (الوهاب) وهو في الفضل والعلم من أولى (العزم)»

قلت: انتهت القصة

(الاسكندرية) (***)

حـــــواء

ديوان شعر طريف في الغزل العرفاني من نظم الأستاذ الحوماني تحت الطبع، تحمل الرسالة منه إلى قرائها عدة نماذج قبل صدوره

اباعثتي

تَلفتُّ أسأل ماضيَّ عما وعيتُ فألفيتُه لا يعي
وأيقنتُ أنَّ ربيع الشباب تولَّى ولم يكُ قلبي معي
كأنَّ أناشيده قبلما خلقتُكِ لم تجرِ في مسمعي
ولا فتّق الصبح أكمامها عن الحب ريانَ من أدمعي
أباعثتي قِبَلَ الأربعين جديدَ الصبا قلقَ المضجع
مشت بيَ أيامُكِ القهقرى من الأربعين إلى الأربع
فأبصرتُ والشمس عند المغيـــب، تباشيرَها قِبَلَ المطلع
وأنضرَ فوديَّ من ناظريكِ شبابٌ تدفّق في أضلعي

رأيتك ...

يراكِ بعينيه مَن لا يرا كِ في ظلمة اليأس فجرَ الأمل
يراكِ بنفسجة في الحضيض وزنبقة في سماء الجبل
يراكِ ندى في جيوب النسيم وبدراً تنقّل حتى اكتمل
فيازهرة في رياض الربيع وبدراً تكبّد قلب الحمل
حنانيك والزهر يجنى عليـه
ضحى الصيف والبدر يغشى الطفَل
رأيتكِ والعينُ لمّا تَسَعْـــكِ أحجيَّة في ضمير الأزل
رأيتُكِ، والعينُ ملء الفؤا دِ، ملء النهى عُقَداً لا تُحل
رأيتكِ أنشودةَ العبقري وأضحيّة في فؤاد البطل
رأيتكِ بين يديْ ناظريَّ فـما أتلقاه غضّ القُبَل
فمـا وشّحتْ بسماتُ الخلود حواشيه باللثم حتى اشتعل

الحوماني

جورجيـــاس
او البيان

لافلاطون

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف لأنها أجل محاوراته وأ كلها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة »

« رينوفيير »

الأشخاص والمحاورة

بينت لك فى المقال السابق أهمية هذه المحاورة وموضوعها . وأقدم إليك اليوم أشخاصها، ثم أبدأ فى ترجمتها وفى التعليق على ما يحتاج منها إلى تعليق :

١ — الأشخاص

أولهم : « سقراط » Socrate ، وهو بطل المحاورة كما قلنا . وسنرى إفلاطون متقمصاً إياه ومملناً تلك الأفكار السامية المتعلقة بطبيعة « البيان » و « الأخلاق » . وسنرمز له فى الهامش بالحرف « ط »

وثانيهم : « جورجياس » Gorgias وهو السفسطائى ومعلم البيان الذى يتخذ منه سقراط محوراً يدور حوله ويمطره وابلاً من أسئلته البارعة ليثبت له أن فلسفته قائمة على المغالطة والجهل والغرور والكبرياء . وسنرمز له بالحرف « ج »

وثالثهم : « شيروفون » Chérephon وهو صديق « سقراط » وتلميذه . وسنرمز له بالحرف « ش »

ورابعهم : « بولوس » Polus وهو تلميذ « جورجياس » وصفيه ، وسنرى أن « جورجياس » يتخذ منه محامياً يذود عن أفكاره أمام هجمات سقراط . وسنرمز له بالحرف « ب »

وخامسهم : « كاليكليس » Callicles وهو من أهل « أثينا » . ويتخذ إفلاطون منه ومن تلميذى سقراط وجورجياس الآنفين همزة وصل لإحكام الحوار . وسنرمز له بالحرف « ك »

٢ — المحاورة

وتبدأ المحاورة فى منزل « كاليكليس » حيث يصل « سقراط » متأخراً وكان يريد أن يستمع إلى حديث جورجياس السفسطائى فيقابله صاحب المنزل بقوله :

ك — أو هكذا تجىء « بعد المعركة » كما يقولون ياسقراط !؟

ط — وهل تأخرنا كثيراً عن « العيد » كما يقال ؟ (١)

ك — نعم . ولقد جئتم بعد عيد كامل البهجة والظرف ! . إذ الحق أن « جورجياس » كان يسمعنا منذ لحظة أشياء جميلة لا حصر لها !

ط — إن شيروفون — الموجود بيننا الآن — هو المسئول عن ذلك التأخير يا كاليكليس لأنه أرغمنا على الوقوف فى الطريق

ش — ليس من ضير ياسقراط لأنى سأصلح الأمر على أية حال . إن جورجياس صديق ، ولذلك سيكرر الآن إذا ما أردت نفس ما قد قال ، أو هو سيرجئ الحديث إلى فرصة أخرى إذا فضلت

ك — ماذا يا شيروفون ؟ أو بسقراط فضول لأن يسمع جورجياس ؟

ش — لقد جئنا نقصد ذلك

ك — حسن ! هيا معى إذاً فهو يقيم هنا . وسيبسط لكم الموضوع .

ط — شكراً يا كاليكليس . ولكن أتراه يقبل التحدث معنا ؟ إنى لأريد أن أعرف منه معرفة تامة خواص الفن الذى يمتهنه ، وماذا يعد به وماذا يعلمه للناس، أما ما عدا ذلك فسوف يحدثنا عنه كما تقول فى فرصة أخرى

ك — ليس أجدى من أن تسأله هو نفسه ياسقراط لأن هذه الناحية ليست بالدقة إلا جزءاً من الشرح الذى سيقدمه

— ليس أجمل من هذا . فعليك إذاً أن تسأله ياشيروفون !

ش — وماذا أطلب منه ؟

ط — أى شىء هو !

(١) التهكم هنا ظاهر « المعرب »

ش — ماذا تريد أن تقول ؟

ط — ألا تفهمنى ؟ إذا كانت مهنته — مثلاً — صناعة الأحذية فسيجيبك بأنه صانع أحذية !

ش — لقد فهمت وسأسأله قائلا : أخبرني يا جورجياس ! أصحيح ما يقول كاليكليس من أنك تمد نفسك للاجابة على كل الأسئلة التي يستطيع أن يقدمها لك الانسان ؟ (١)

(يتقدم جورجياس)

ج — نعم يا شيروفون ، فهو نفس ما قد أعلنت منذ لحظة وأضيف إليه الآن أنني لم أتلق من أحد منذ سنين كثيرة سؤالاً واحداً يعتبر جديداً على مثلى !

ش — وإذا فيجب أن تكون إجابتك ياجورجياس متناهية السهولة والسرعة !

ج — ليس عليك ياشيروفون إلا أن تجرب !

ب — نعم . ولكن سلنى أنا إذا أردت ياشيروفون لأنه يبدو لى أن جورجياس خائر القوى بعد إذ تحدث فى أشياء كثيرة .

ش — ماذا يابولس ؟ أتعلق نفسك بادعائك أنك تستطيع أن تجيب بأحسن مما يجيب جورجياس ؟

ب — وماذا يهمك إذا كنت سأجيبك إجابة تكفيك ؟

ش — طبعا هذا لا يهم فأجب ما دمت تريد !

ب — سل

ش — ذلك ماسأفعل . إذا كان جورجياس ماهراً فى نفس الفن الذى يحذقه أخوه هيروديكوس Hérodicus فأى الأسماء يصلح لأن نطلقه عليه إطلاقا صحيحا ؟ أليس هو نفس الاسم الذي نطلقه على هيروديكوس ؟

ب — من غير شك !

ش — وإذا أنكون محقين إذا أسميناه طبيبا ؟

ب — بلا ريب .

ش — وإذا كان منهمكا فى نفس الفن الذى يشتغل به ايستوفون بن أجلاوفون أوفى فن أخيه فأى الأسماء نطلقها عليه؟

ب — واضح أنه اسم « المصور » .

ش — حسن . ولكن فى أى فن قد صار جورجياس عالما، وأى اسم يصلح له فنطلقه عليه ؟

ب — للناس ياشيروفون فنون كثيرة، والانسان مدين فى كشفها للتجربة (١) لأن التجارب هى التى تجعل حياتنا متمشية مع قواعد الفن ، بينما عدمها يجعلها تسير مع الصدفة العمياء . والناس يختلفون فيما بينهم ، فالبعض ينهمك فى ذلك الفن ، والبعض ينهمك فى فن آخر ، ولكن أفضل الفنون هى ما كانت نصيب أفضل الناس كجورجياس لأن الفن الذي يشتغل به أفضل الفنون جميعاً !!

ط — يلوح لى حقا يابولوس أن جورجياس قد مهر جداً فى الخطابة لأنه(٢) لايواصل الحديث الذى وجهه إلى شيروفون!!

ج — وكيف هذا ياسقراط ؟

ط — يبدو لى أنه لا يجيب عما يسأله الناس !

ج — سله بنفسك، إذا لتجدنه مستعدا!

ط — إذا كان يسرك أن تجيب ، فانى أسائلك بسرور وأعظم إذ يلوح لى أن ما يقوله بولوس يدل على أنه قد حذق فن «البلاغة» أكثر من حذقه فن المناقشة والاقناع !

ب — وماذا يحملك على هذا القول ياسقراط ؟

ط — ذلك لأنك — وقد سألك شيروفون عن الفن الذى مهر فيه جورجياس — رحت تمدح هذا الفن دون أن تخبرنا عن ماهيته كأن هناك من يحتقره ويحط من شأنه !!(٣)

ب — ألم أقل إنه أفضل الفنون جميعاً ؟

ط — ليكن كما تريد ! ولكن أحداً لم يسألك عن صفة هذا الفن وكيفيته . لقد سألناك فقط عن ماهيته ، وعن أي اسم يجب أن نطلقه على جورجياس ، ولقد دلك شيروفون على الطريق بالأمثلة ، فأجبته فى المبدأ إجابة حسنة قليلة الكلمات .

(١) هنا يظهر جورجياس على المسرح ويبدأ القسم الأول من ذلك الحوار الطريف الذى يلجىء فيه سقراط جورجياس « أستاذ البيان » إلى التناقض المضحك بفضل أسئلته البارعة ، مما يجعل الرجل يخشى انكشاف علمه الأجوف أمام فيلسوف رث اللبس وحافى القدمين كسقراط ، فيحيل الرد إلى تلميذه المخدوع « بولوس » « المعرب »

(١) يلاحظ هنا طريقة السفسط فى الاجابة . إنه أبدا يلف ويدور ويبدأ حديثه بمقدمات خلابة توهم أنه علامة بينا هو خاوى الوفاض

(٢) يحاول سقراط هنا أن يجذب السفسطائى إلى الكلام بسخريته اللاذعة.

(٣) وهكذا كثيراً ما يكون العلم مجرد ألفاظ لا يدرك عقل صاحبها من معناها شيئا «المعرب»

فقل لنا كذلك : أي الفنون يمارس جورجياس ؟ وأى الأسماء يصلح له ؟؟ أو — بالأحرى — قل لنا أنت يا جورجياس : أى الأسماء يجب أن نسميك به ؟ وبأى الفنون تشتغل ؟[1]

ج — بالبيان يا سقراط !

ط — إذاً يجب أن نسميك معلم بيان ؟

ج — نعم ، ومن المعلمين الجيدين يا سقراط ، إذا ما شئت أن تسميني بما أفخر به ، على حد تعبير هوميروس !

ط — ليكن ما تريد !

ج — حسن — سمنى إذاً هكذا !

ط — أتقول إنك قادر على تعليم هذا الفن للغير ؟

ج — هذا ما أمتهنه هنا وفى كل مكان !

ط — وهل تريد يا جورجياس أن تستمر آناً مسئولاً وآناً مجيباً كما نفعل الآن ، مرجئاً هـذه الخطب الطويلة — كتلك التى بدأ بولوس بإحداها — إلى وقت آخر ؟ إن يكن نخذ فيما وعدتنا به ، واجعل إجابتك على كل سؤال قصيرة

ج — هناك يا سقراط من الإجابات ما يحتاج بالضرورة إلى سعة وبسط ، ولكنى سأحاول مع ذلك أن أجيب بكل اختصار لأن من بين الأشياء التى تعجبني من نفسي أنه لا يوجد من ينطق بنفس الاجابة فى أقل تعبير كما أفعل[2]

ط — هـذا ما يجب هنا يا جورجياس . فأرنى إذا ذلك الاختصار الفريد ولنترك الأقوال المطولة إلى فرصة أخرى

ج — سأسرك . وسترى أنك لم تسمع شخصاً يشرح بأخصر من قولى ؟

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) يلاحظ أن جورجياس يهرب من الاجابة ويصمت عند أول فرصة تتاح لتلميذه بولوس . ولكن سقراط له بالمرصاد

(٢) أحسب غرور السفسطائى هنا واضحاً « المعرب »

بين مذهبين

للأستاذ محمد سعيد العريان

« لقد مات الرافعى — رحمه الله — فانقطع بموته ما كان بينه وبين خصومه من عداوات . وما أريد أن أوقظ فتنة نائمة يتناولنى لهيبها أولَّ ما يتناول ؛ فما لى طاقة على حمل العداوة ، ولا اصطبار على عنت الخصومة ، ولا احتمال على مشقة الجدال ؛ وإنمـا هو تاريخ إنسانٍ له على العربية حق جحده الجاحدون فنهضت للوفاء به ؛ فإن كنت أكتب عن أحد من خصومه أو أصحابه بما يؤلم أو يسئ ، فما ذلك أردت ، ولا إليه قصدت ، ولا به رضيت ؛ ولكنها أمانة أحملها كارهاً ، وأضطلع بعبئها مضطراً ، لأؤديها إلى أهلها كما تأدَّت إلىّ . وإنى لأعلم أنى بما أكتب من هذا التاريخ أضع نفسى بالموضع الذى أكره ، وأتعرض بها لما لا أتوقع ؛ ولكن حسبى خلوص النية ، وبراءة الصدر ، وشرف القصد ؛ ولا علىّ بعد ذلك مما يكتب فلان ، ولا مما يتوعد به فلان ؛ فإن كان أحد يريد أن يصل بى ما كان بينه وبين الرافعي من عداوة فانقطعت ، أو يربط بى رابطة كانت بينه وبين فلان فانفصمت ، أو يتخذ من الاعتراض علىّ زلفى إلى صديق يلتمس ودّه ، أو يجعل مما يكون بينى وبينه سبيلاً إلى غرض يرجو النفاذ إليه ، أو وسيلة إلى هوى يسعى إليه — إن كان أحـد يريد ذلك فليمضِ على إرادته ، وإن لى نهجى الذى رسمْت ؛ فلتفترق بنا الطريق أو تلتقِ على سواء ، فليس هذا أو ذاك بمانعى من المضىّ فى سبيلى ومن الله التوفيق !

« وهذه خصومة أخرى من خصومات الرافعى ، ومعركة جديدة من معاركه ؛ وإني لأشعر حين أعرض لنبش المـاضى فأذكر ما كان بين الرافعى والعقاد ، أنى كمن يدخل بين صديقين كان بينهما فى سالف العمر شحناء ثم مسحت على قلبيهما الأيام فتصافيا ، فإنه ليذكِّر بما لا ينبغى أن يُذكر ، والموت يحسم أسباب الخلاف بين كرام الناس ؛ فإذا كان بين الرافعى والعقاد عداوة فى سالف الأيام فقد انقطعت أسبابها ودواعيها ، فإن بينهما اليوم لبرزخاً لا تجتازه الأرواح إلى أخراها إلا بعد أن تترك

شهواتها وأحقادها وعواطفها البشرية . فهنا ناموس وهناك ناموس ، ولكل عالم قوانينه وشريعته ؛ فما تخلص ضوضاء الحياة إلى آذان من فى القبر ، ولا ينتهى إلى الأحياء من عواطف الموتى إلا ما خلفوا من الآثار فى دنياهم ... هنا رجل من الأحياء وهناك رجل فى التاريخ ، وشتان ما هنا وهناك ؛ فما أتحدث اليوم عن خصومة قائمة ، ولكنى أتحدث عن ماض بعيد . والرافعى الذى يحيا بذكراه اليوم بيننا غير الرافعى الذى كان ؛ فما ينبغى أن تجدد ذكراه ماضى البغضاء . وهذا عذرى فيما أذكر من الحديث ... »

* * *

... ذلك قول قلته منذ بضعة أشهر وقدمتُ به للحديث عما كان بين الرافعى والعقاد ؛ وكأنما ألقىَ إلىَّ من وراء الغيب أن كاتباً مثل الأستاذ سيد قطب سيحشر نفسه فيما لا يعنيه وما لا يصلح له ، وما لا يُحسن أن يقول فيه ، ليحاول أن يجعل التاريخ غير ما كان ، مظاهرة لصديق ، أو انتصاراً بالباطل ...

ولقد كنت أكرم (صديق) أن يكون هو الذى يحاول هذا العبث إسرافاً فى حسن الظن بفهمه وأدبه وسمو نفسه ، ثم كان ما لم أكن أتوقع ...

وإنى لأشعر الساعة — وقد خرجت من الصمت الذى فرضته على نفسى شهرين رعاية لحق الصديق وإبقاء عليه — بشيء من الألم يحزنى فى صدرى ويجعل القلم يضطرب بين أناملى ؛ فما سهلٌ على مثلى أن ينسلخ عن ماضيه ويتنكر صاحبه ليقول على ملأ من الناس : « يا هذا ، لستُ منك ولست منى ... ! » ولكن سيد قطب قد قالها فما بدٌّ لقائل أن يقول ...

لقد كان بين الرافعى والعقاد عداوة وشحناء سارت مسير المثل بين أدباء الجيل ، فهل كان من الحتم تبعاً لذلك أن يكون سعيد العريان وسيد قطب عدوين ، لأن أولهما يؤرخ للرافعى والثانى يجرى فى غبار العقاد ... ؟

ولكن سيد قطب يرشح نفسه ليكون فى غد شيئاً له فى الأدب خطر ومقدار ، وما يرى نفسه بالغاً هذه المنزلة إلا أن يجرى على نهج صاحبه ويتأثر خطاه ؛ فكان أول سعيه إلى غايته أنه احتقب كنانته وخرج إلى الطريق يرمى الناس باليمين وبالشمال لا يعنيه أين يصيب ولا من يصيب ولو كان أحرص الناس عليه وأرأفهم به ...! وكان إلى سعيد العريان أول ما راش من سهامه يا صديقى الذى كان ... لقد أخطأت الهدف المؤمَّل ... !

* * *

ما بى فى هذا المقال أن أتحدث عن الرافعى ولا عن العقاد ، ولكنَّ مذهبين سماهما سيد قطب أريد أن أضرب لهما مثلين :

أما أحدهما فقول سعيد العريان يعتب على صاحبه : « ... فإن كان هذا هو كل عذر الأستاذ سيد قطب من تمزيق أكفان الموتى بأظفاره فقد بلَغ وأبلغ ... »

وأما ثانيهما فهو قول الأستاذ قطب نفسه يردّ على عتاب صاحبه : « ... إن سيد قطب ليس هو الذى يمزق الأكفان بالأظفار ، والذى يمزّق بظفره « مخلوق آخر » ، أكرم آدابى وآداب الناس أن أقول : إن الأستاذ (العريان) أو أحد زملائه من « فصيلته » ! خشية أن تتدهور خطوة أو خطوتين بعدها فيصبح من النقاش الأدبى المترف به أن يقول الواحد للآخر : « يا ابن الـ ... » ، ويكون هذا من أساليب النقاد ! »

تُرى هل عرف القراء فرق ما بين المذهبين ؟

نعم ، ولكن لا بأس من زيادة البيان والايضاح ، فقد يكون فى القراء طائفة من أمثال الأستاذ سيد قطب ، لا يفهمون بغير ما هو صريح الدلالة فى موضعه وإن كانوا مثله (إخصائيين) فى اللغة وفى أساليب البيان ...

لقد ظل المرحوم الرافعى دائباً فى تجديد الآداب العربية سبعاً وثلاثين سنة ، يتردد اسمه فى المحافل والنوادى ومجامع الأدب ، فليس بين قراء العربية أحد لا يعرفه ، وسيد قطب واحد من قرائها الاخصائيين فى اللغة كما قد يعرف القراء ، ولكنه مع ذلك لم يشرع قلمه ليجرّد الرافعى من « النفس » ومن « الانسانية » ومن « العقيدة » وليزيّف أدبه ويكشف عيبه إلا حين غيَّبه التراب وآن أوان ذكراه . فهل يكون ذلك شيئاً غير تمزيق أكفان الموتى بأظفار ... ؟

ليس الأستاذ سيد قطب — ولا شك — كلباً ، ولا ذئباً ، ولا ثعلباً ، ولا شيئاً من ذوات الظفر والناب ؛ ولكنه مع ذلك — عندنا — يمزق أكفان الموتى بأظفار ...

هذه هى عربيتنا نحن أنصار المذهب القديم ، فبأىّ عربية

فهمها الأديب الناقد المجدِّد الإخصائي في اللغة وفي أساليب البيان الأستاذ سيد قطب ؟ . . . لقد فهم أننا نجرِّده من إنسانيته وأننا نعني أنه . . . أنه . . . أنه ذو ظفر وناب . . . !

وأساء الظن بآدابنا وبنفسه . . . وردَّ شتيمة بشتيمة ، وزاد في الردّ عبارة يريد أن يجعلها من أساليب النقّـاد . . . وعفا الله عنه ؛ فما علك أحدٌ يناله سيد قطب بالإساءة إلا أن يعفو عنه . . . !

. . . معذرة !

لقد فاتني أن أنوّه بفضيلة من فضائل سيد قطب تتصل بهذين المثَـلين ، وإنها لبسبيل من مذهبه في أدب « النفس » وأدب « الطبع » ، وإنها لتكشف عن أسلوب من أساليبه . . . إن سيد قطب لم يشتم ، ولم يقل شيئاً يستحق العفو أو المؤاخذة . إنه يقول فيما يرد : « . . . إنني أكرم آدابي وآداب الناس أن أقول . . . » أتراه قال شيئاً ؟ لا ، إنه ليُـكرم آدابه وآداب الناس أن يقول ؟ فمـن التجنّي عليه أن تزعم أنه قال ... أيعرف سيد قطب شيئاً بهذا الأسلوب فيما يتحدث الناس ؟ . . . أما أنا فأعرف : أعرف (مجدِّدين) غيره من الصعاليك والسوقة يهمّ أحدهم أن يشتم خصمه فيقول له ما ترجمته في مثـل لغة الأستاذ قطب : « إنني أكرم آدابي أن أقول . . . » ويكون بذلك عند العصبة المتجمهرين حولهما مؤدّباً كريماً عفيف اللسان لأنه لم يقل شيئاً ، ويكون بذلك مجدّداً في أسلوب الشتم وإن لم يعترف سيد قطب بأن مثله من المدرسة الجديدة . . .

. . . ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً ؟ » فيكون معناه على هذا القياس في مذهب الأستاذ قطب : « من منكم تهفو نفسه إلى أكلة شهية فيها مسلوق وقديد ومشويٌّ من لحم بني آدم ؟ » ويكون جواب هذا الاستفهام صوت « إنسان » يقول : « أنا ... ! » فيمسخه الله كلباً أو ذئباً أو ثعلباً أو شيئاً من ذوات الظفر والناب ...

أليس هـذا هو مدلول هذا الاستفهام عند من لا يؤمن بالكناية والاستعارة والمجاز في أساليب البيان ؟ والله أعلم بمراده .. !

***

أراني أطلت في شرح هذا المثال قبل أن أخلص إلى ما أريد ، وماتثبت القاعدة بمثال واحد ؛ فهذا مثال آخر : يقول سيد العريان في وصف المرحوم الرافعي حين يهم أن يجمع خواطره لموضوعه قبل أن يكتبه : « .. فكان يرسل عينيه وراء كل منظر ، ويمد أذنه وراء كل حديث ، ويرسل فكره وراء كل حادثة ، ويُلقي باله إلى كل محاورة ... »

فيقول سيد قطب : « ... إن المرحوم الرافعي لم يكن يمد أذنه وراء كل حديث كما يعرف من يعرفه ؛ ولم تكن هذه الحاسة من أدواته في التنبه والتأمل ، فكان من (الصدق) ألا تذكر دون أن يضيره هذا أو يعيبه ، إذ كان هذا مما لا يعاب ... »

فالأستاذ الأديب الناقد سيد قطب الاخصائي في اللغة ، لا يفهم من كلمة « يمد أذنه وراء كل حديث » إلا معنى السماع بالأذن ؛ وإذا كان الرافعي معطّـل الأذن لا يسمع فان هذا التعبير ليس من الصدق في الرواية . وذلك هو المذهب الجديد ...

... ويبقى بعد ذلك قول الله تعالى : « يد الله فوق أيديهم » فتكون دلالته عنده على معنى من معنيين : أن لله يداً ، أو أن ذلك ليس من (الصدق) في تعبير القرآن ... وأستغفر الله العظيم .. !

وقال لي قائل من صحابتي : « إنك لتتعسف في هذا التفسير وفي تطبيقه على المذهب (الجديد) ؛ وإنك « لمعذور في هذا الجهل لأنك لم تختلط بالعقاد أولا ، ولأن نفسك لم تتفتح لأدب العقاد فتفهمه ثانيا ... » إن سيد قطب ليس من الجهل بحيث لا يفهم : « يمد أذنه وراء كل حديث » على وجهها ؛ ولكنه يعيب عليك في التعبير أن تُعنَى بما سماه « استيفاء الأشكال » وتغض النظر في سبيل ذلك عن (الصدق) في العبارة ... »

قلت لصاحبي : « لست أفهم ما يعنيه بقوله « استيفاء الأشكال » فما يكون الاصطلاح الجديد ؟ »

قال : « وأنت معذور في هـذا أيضاً ، لأنك لا تستطيع أن « تماشي الأستاذ قطب في سموقه » الفكري وفي مبتكراته العلمية التي أثمرتها دراساته الشاملة لكل ما نُقل إلى العربية من الآداب الإفرنجية ومن المباحث النفسية الحديثة ونظريات العقل الباطن والتحليل النفسي والمسلكية ، ومن المباحث الاجتماعية والمذاهب القديمة والحديثة ومن مباحث علم الأحياء ونظرية دارون ومباحث الضوء وتجارب الكيمياء ونظرية اينشتين والنسبية وتحطيم الذرة ووظائف الأعضاء و و و و »

قلت : « حسبك ! إنما أريد أن أعرف معنى « استيفاء الأشكال » وما يقصد بها ! »

قال : « ألا تعرف في « البديع » شيئاً يسمونه ... ؟ »

قلت : « يسمونه ماذا ؟ »

قال : « أنظرني حتى أسأل سيد قطب فقد نسيت ... ! »

وحسب سيد قطب أنه جاء بجديد حين جاء بما سماه « استيفاء الأشكال » ، ونسي ما سماه به علماء البديع منذ كان ابن المعتز ؛ ثم نسي ثانية فسماه عيباً لأنه سمع العقاد مرة يعيب شاعراً بالتزام محسّنات البديع ...

ولكنه مع ذلك (إخصائي) في اللغة التي نعبر بها ... !

***

أما بعد فهذا شيء من أشياء تفرق بين مذهبين سماهما الأستاذ قطب ؛ وما كان لي أن أعنى بالحديث عنهما إلا لأنبهه إلى وجوب « استيفاء الوسائل » قبل أن ينتدب للنقد ؛ وما كان لي أن أعنى بتنبيهه إلى ذلك لولا علمي بأن ذلك يفيده ويجدي عليه ، ويعينه على فهم ما يكتب أهل الأدب فلا يتورّط فيما تورط من الحديث عن فصائل ذات الظفر والناب فيسيء إلى نفسه وإلى صحابته !

وليس يغنيه عن استيفاء هذه الوسائل أن يدعى ويستطيل ويبالغ في الإعجاب بنفسه ليكون أديباً وناقداً له مكان ملحوظ ومنزل مرموق

وإني على ما ساءني من صديق لأرجو أن يقبل نصحي خالصاً لله فيكف عما هو فيه ؛ فلقد كشف بهذا الذي يكتب عن أشياء في نفسه لم يكن يعرفها إلا الخاصة من أصحابه . ولقد جلا على القراء كل مايستطيع أن يجلو من ألفاظ « الطرافة والحيوية ، والسموق ، ولفتات الذهن ، والاستغراق » مما يجعل وراء كل بيت فارغ يحاول أن ينثره من شعر العقاد ليثبت له ما ليس فيه ؛ وقد نثر كل ما في كنانته من ألفاظ « الجمود ، والاستغلاق ، وضيق الفهم » مما يحاول أن يرمى به كل من يعرض له من مناظريه .

فإن سمع أراحنا وأراح نفسه ، وإلا فقد علمتُ وعلم القراء ما يدفعه إلى هذه المحاولات ؛ فما بي حاجة بعدُ إلى مناقشته والرد عليه ؛ ولقد أكرمته من قبل فسكتُّ عنه حفاظاً عليه وحرصاً على مودته ، وإني لأكرمه وأكرم نفسي من بعدُ بالسكوت عنه حتى يفرغ ؛ لعل في ذلك شفاء أو وقاء أو قضاء لحاجة نفسه

والسلام عليه

« شبرا » محمد سعيد العريان

بين العقـــــاد والرافعي

١ — صرخة مفزوع

٢ — ابن الرومي حياته من شعره

للأستاذ سيد قطب

— ١٠ —

نحن نعتذر لأخينا صاحب « المصور » وناشر « على السفود » ونحس في أنفسنا استعداداً للعطف على صرخته في العدد الماضي من الرسالة !

نحن نعتذر ، فالظاهر أن الضربة التي ووجه بها كانت أعجل مما ينتظر وآلم مما يحتمل ، لأنها خلعت عنه لحيـة الوقار المستعار وشعار العدالة المصطنع ، وقد شاء أن يلوح بهما في عام ١٩٣٨ فبدا للناس على حقيقته يحلل الأمر عاماً ويحرمه عاماً ، ويدور في التحليل والتحريم حول الأشخاص في الوقت الذي يعيب فيه نصرة الأشخاص !

هذه هي المسألة يا صاحب المصور ، ونحن نعذرك في المهاترة التي أجبتنا بها ، ونعذر أنفسنا إذا وقفنا لحظة على أول درجات السلم في هذه المهاترة ، لنرتفع بعـدها إلى مستوانا ، ونأخذ في القضية الأولى التي تهم القراء

ونحن حين نعتذر إليك عن توجيه تلك الضربة ، نعتذر لأنفسنا عن اخترامنا لك إلى هـذا الحد الذي أوجب البطر ، ولو استطعنا من أول الأمر أن نهبط إلى المستوى الذي هبطت إليه في كلماتك الأخيرة لتغير وجه المسألة !

أنت يا سيدي — أولا — لا تفهم الكلام ، ومن هنا كان تفسيرك للجملة التي أقول فيها :

« وأننا من أخلص تلاميذ مدرسة هذا الكاتب لطريقته ، وأشد الناس فهماً لها ، واقتناعاً بها ، ونسجاً على منوالها » . ففهمت منها أن الذي يقول ذلك يكون « طبعة ثانية » للعقاد

وهنا كلام نقوله للناس ، وكلام نقوله لك :

فأما كلمتنا لمن يفهمون فان الاخلاص لطريقة فى الأدب والاقتناع بمذهب خص ، والنسج على منوال مدرسة معينة ، لا يمنى تقليد شخص معين فقد ينشأ إمام وينشىء له مدرسة ، ويكون لهذه المدرسة تلاميذ ، ثم يكون لكل تلميذ من هؤلاء طابعه الشخصي ومميزاته الذاتية ، ولاسيما إذا كانت هذه المدرسة هى مدرسة العقاد التى تقوم فى أساسها على الدعوة إلى أدب « الشخصية » وتنكر التقليد وتشتط فى إنكاره . فمن يخلص لطريقة هذه المدرسة ، فانما يخلص للاستقلال و « الخصوص » والتفلت من القيود والتقليد

وأما كلمتنا لك ، فنحن نسلم أننا « طبعة ثانية » من العقاد ، فماذا تكون أنت ؟ . إننا نقول لك : كن أنت ـ إن استطعت ـ طبعة ثانية من العقاد أو أى فنان سواه ، أو كن — على حد تعبيرك المؤدب — الطبعة التى تتركها فى الرمل قدم العقاد تكن خيراً مما أنت الآن عشرات المرات !

وأنت ياسيدى — ثانيا — لاتحترم نفسك. فلقد كنت تقول يوم نشرت كتاب « على السفود » إنك تريد به « مثالا يحتذيه الذين يريدون أن يحرروا بالنقد عقولهم من عبادة الأشخاص ووثنية الصحافة فى عهدها البائد » . فكانت مسألة نصرة الأشخاص يوم ذاك — على ماتدعى — بعيدة عن غرضك ، بل كنت ممن يقاومونها وينشرون هذه الكتب « الساقطة » لدفعها

ثم هاأنت ذا الآن تقول إنك كنت وقتها تناصر شخصا وأنك تبت مما عملت : « سقت نقدى مساق من لا يبرىء نفسه مما تناول ذلك النقد من رأى أو اتجاه . فلم أخرج ذاتى من مجال النقد الذى سقت ، معترفا بأن ذلك رجوع إلى الحق ، واطمئنان إلى اتجاه جديد » وتعنى بهذا أنك — إذن — ممن كانوا يناصرون الأشخاص على الأشخاص ، بينما كنت يومها تبرأ من ذلك .

قلها يامولانا كلمة صريحة أنت وأمثالك ممن لا يجدون فى أنفسهم الشجاعة الكافية لمواجهة من يريدون مواجهته ، فيلفون ويدورون ، ويتخذون طرائق المرأة فى الدفاع والهجوم .

قل : إنه ما دامت الشتائم توجه إلى العقاد فهى حينئذ نصرة مذهب على مذهب ؛ أما حين تكون مدافعة ورداً لهذه الشتائم ، فهى — إذن — نصرة أشخاص على أشخاص !

وقل يامولانا : إنك تحقد على العقاد حقداً دفينا لا سبب له — إذ ليس بينكما منافسة على أدب ولا موهبة فنية — وأنك لهذا ترحب بشتائم الرافعى له وتطبعها وتروج لها وتسميها علوا عن الشخصيات . وأما حين يقوم « أديب » مثل «سيد قطب» ليكشف عن شنعة هذه الشتائم ، وليشرح بعض نواحى أدب العقاد بالقدر الذى تتسع له مجلة ، فانك تتألم وتثور حفيظتك فتسمى هذا الشرح وذلك الرد مناصرة للشخصيات ؟

قلها يامولانا واسترح . أراحك الله

قلها ولا تخش « صديقك » العقاد كما عبرت عن العلاقة بينكما قبل العدد الأخير ، وأنت تتخاذل وتتضاءل وتدخل بعضك فى بعضك ، وتدعى صداقة الرجل الذى ثلبته وشتمته ، ومهدت لشتمه بأحقر الوسائل .

قلها . ورزقك على الله !!!

أما سيد قطب . فسمه أديبا . سمه ماسحه مجردا . فسيظل هو هو الذى أسقط عنك لحيتك المستعارة ، وأثارك كل هذه الثورة وكشف للناس عن خبيئة نفسك ، وحقيقة آرائك ، ثم هاهو ذا الآن يمتحن رجولتك التى لا تثبت على رأى ، ولا تواجه الخصوم و« الأصدقاء » بما يقابل به الرجال الرجال . أما أنك لم تفهم ما كتبت ، فابن الرومى يقول فى هذا كلاما أحيلك عليه إن كانت لك دراية به !

وقل بعد هذا ما تشاء ، فلن أهبط مرة أخرى ، ولن أحرج « الرسالة » ولا قراءها إلى حيث تابعتك قليلا فى لغة الكلام

* * *

أما كلمتى اليوم عن العقاد ، فمن كتابه « ابن الرومى . حياته من شعره » وإنما اخترت هذا الكتاب بالذات لأمور :

الأول : ما يدعيه خصوم العقاد من أن الصحافة تساعده ، وتشهر مؤلفاته ولا تقبل مقالات النقد التى يكتبها نقاده

والثانى : أن هذا الكتاب مظهر من مظاهر عبقرية العقاد الفنان والناقد . والبصير بالطبائع والفنون

والثالث : أن فيه تصحيحاً لكثير من النظرات الفنية وشرحاً لكثير مما تتحدث عنه من « أدب الطبع »

فماذا كتب فى الصحف عن هذا الكتاب الفريد ؟

إنها بضع كلمات بين تن... الاعلان ، أو نقد كالشتائم . وهي في مجموعها لا تساوي ما يكتب ...ن مؤلف صغير لأديب ناشيء

والحقيقة أن ذلك نصيب كتب العقاد كلها من الصحف ، فاذا استثنينا « وحي الأربعين » والمعركة التي دارت حوله وجدنا ما يشبه التعمد في إدارات الصحف للسكوت عن كتب العقاد . وقد طالما سمعت أصدقاءه يشكون لأن مقالاتهم عنه دفنت في مكاتب رؤساء التحرير !

وتلك ضريبة العظمة التي يسددها العقاد !

وإنه لمن الفزع أن يعقد الانسان موازنة بين كتاب ابن الرومي وصداه في الصحف المصرية ، بين ضخامة الانتاج وضآلة الاستعداد بقوله حتى ليحس أنما ألقى به في موماة تائهة لاحياة فيها ولا إحساس. لا تستطيع إلا العبقرية دون سواها من المواهب الانسانية أن تخرج هذا المؤلف على هذا النحو

ولكي نعرف معنى هذا القال يجب أن نستعرض « ابن الرومي » قبل هذا الكتاب وبعده ، ثم نستعرض فهم الأدب والحياة ، وفهم الفنون والطبائع قبل صدوره وبعده

فماذا كان ابن الرومي قبل كتاب العقاد عنه ؟

إنه كان بضعة أخبار متناثرة في ثنايا بعض كتب الأدب والتاريخ القديمة أغلبها عن طيرته وتشاؤمه ، وأقلها عن حياته ومعاشه . بضعة أخبار ضئيلة هي كما قال عنها الكاتب العظيم : « ومثلنا في ذلك كمثل المنقبين في المحفورات ، إذ يعثرون ببعض العظام المهشمة من جسم مدثور فهم يقيسون المفقود على الموجود ، ويضنون بما وجدوه على الضياع ، ولو لم يكن به قوام »

وماذا صار بعد كتاب العقاد ؟

إنه صار إنساناً حياً ، نراه ونأنس به ، ونعرف خفايا ضميره وخوالج نفسه ، ونعرف حركاته وسكناته ، ومن ورائها أسبابها وبواعثها ، ولم تعد تخفى علينا ملامحه بين الملامح الكثيرة

وليس هذا بالشيء القليل ، ولا بالميسور لكل كاتب . ولكنه ليس الكسب الوحيد الذي نخرج به ، فقد عرفنا شكل خلقته بمحاسنها وعيوبها ، وعرفنا أخباره وسيرته في لبابها ، وعشنا معه في داره ، ورافقناه في غدواته وروحاته ، وعلمنا أسفاره ورحلاته ، وشاهدنا ما حدث له من خير وشر ، وما لاقاه من نعيم وجحيم

ولم نعرف هذا وذاك وحدهما ، فقد تصورنا في لمحات سريعة صورة العصر الذي كان يعيش فيه ، بل عشنا في صميم هذا العصر بضع ساعات ، ولقينا شخصيات هـذا المجتمع ، وفهمنا طباعهم الغالبة ، وسماتهم الظاهرة والباطنة ، وكدنا نكابد ما كانوا يكابدون من تقلب الصروف ، وألاعيب السياسة ، وأعاصير الانقلابات ، وتيارات الدسائس ... إلى آخر ما يعرفه المطلع البصير من مجتمع يعيش فيه فعلا ، ويدرج بين أهله وعشيرته

وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ الحياة في العظام النخرة بعد أن تكسوها لحماً وتملؤها دما ، وتنفث فيهـا من الخوالج والخواطر ما يفعمها حساً وفكراً . وما تستطيع غير العبقرية أن تنفخ في ميت العصور روحاً ، وتبعث هوامد السنين حية تتحرك وتعرضها في الفلك ودورات النجوم من جديد

* * *

ولكن هذه القدرة الخالقة ، لم تقف عند هـذا الحد ، ولم يكن ابن الرومي ولا حياته ، ولا فنونه ومزاياه ، هي التي أفادت من هذه القدرة حياة ... بل لم يكن هذا إلا أقل ما في الكتاب من مزاياه

وإنما المزية الكبرى — في نظرنا — هي البيان العجيب للفن والحياة والطبائع الانسانية ، وشرح العبقرية الفنية وحدود النظر للأدب نظرة صحيحة ، وتصحيح كثير من الأغلاط الشائعة في ذلك قديماً وحديثاً . بحيث تصلح فصوله أن تكون ديواناً للنقد البصير الحصيف في الأدب العربي ، ومقوماً للطبائع والأذهان والافهام ، لمن يجد في نفسه استعداداً للافادة

اسمعه يتحدث عن « عبادة الحياة » في أدب ابن الرومي :

« حب الحياة خليقة نادرة ، وإن ظن أنهـا أعم شيء بين الناس وعامة الأحياء ، فليس الحب — سواء حب حياة ، أو حب شيء من أشيائها — سهلا رخيصاً يطمع فيه كل من يريد . فمن الناس من يحب الحياة وكأنه مسوق إلى حبها ، ومنهم من يحبها كأنه مأجور على عمله ، ومنهم من يحبها كأنما يحب شيئاً غريباً عنه ؛ ومنهم من يحبها كما « يحب » الحيوان الأعجم ما هو فيه ؛ ومنهم من يحبها حب العاشق الذي يختار معشوقه ، أو يستوى عنده الحب على القسر والحب على المشيئة ؛ لأنه يريد ما يقسر عليه

ويأبى أن يفرض للفراق وجودا ، أو يتوقع لهواه تغيرا ، فهو سعيد بأن يحب ، وأن يسمح له بأن يحب ؛ وهو يحب الحياة لأنه حي لا موت فيه ، ولا عمل لكل حاسة في نفسه إلا أن تحس وتحيا ، وتستجد إحساساً وحياة ، ولا تشبع من الاحساس والحياة . وهكذا كان ابن الرومي يعبد الحياة عبادة لا يبتغي عليها أجراً غير ما يبتغيه خلص العابدين . فكان حياً كله لا مكان فيه للموت إلا الخوف منه والتفكير فيه »

وإنك لتقرأ هذا فتعجب لانتباه العقاد لكل ألوان « حب الحياة » وفهمه لأصحاب هذه الألوان وطبائعهم ، وتعرف أن ذلك وليد إدمان اطلاع وملاحظة للنفوس والآداب ، ولكنك خليق أن تقدر وراء الاطلاع والملاحظة طبيعة فائقة مستعدة للنفاذ في اطلاعها وملاحظاتها ، وفي تقييد ما تلاحظه ، وطريقة تقييده كذلك

وما التفت العقاد إلى هذا كله إلا لأنه في خلة حب الحياة كابن الرومي ، مع الفرق بين طبيعته الصارمة ، وطبيعة ابن الرومي المتأوجة . نعم هذا سر التفاته للحياة ومحبيها وطرائق حبهم وطبيعتها . ودواوينه فائضة بدلائل هذا الحب بل العبادة للحياة

ثم يتحدث عن « حب الطبيعة » بمناسبة حب الشاعر القديم لها :

« وصف الطبيعة شعراء كثيرون ، ولم يمنحها الحياة إلا قليلون ؛ أما الذين منحوها حياة نحبها وتحبنا ، ونعطف عليها وتعطف علينا ، ونناجيها وتناجينا ، فأقل من هؤلاء القليلين .

وذلك أن الشاعر قد يؤخذ بأحمرها وأبيضها وأصفرها وأخضرها ، ويفتن بما فيها من الزراكش والأفانين ، ثم لا يعدو بذلك أن يمدح شيئاً قد يجد مثله في ألوان الحلي وأصباغ الطنافس ونقوش الجدران . أو نحن نخطو وراء ذلك خطوة فنقول : إنه لا يعدو بذلك أن ينظر إلى دمية فاتنة ، يروقه متأوجه مليح، وقوام ممشوق وحسن مفاض على الجوارح والأوصال ولكنه لا يتطلع منها إلى عطف ، ولا يفتش فيها عن طوية .

وقد يستريح الشاعر إلى الطبيعة لأنها ظل ظليل ، ومهاد وثير، وهواء بليل ، وراحة من عناء البيت وضجة المدينة، فلا يعدو بذلك أن يستريح إليها كما تستريح كل بنية حية إلى الماء والظل والهواء . كذلك تهجع السائمة في المروج وكذلك تهتف الضفدع في الليلة القمراء .

وقد يمنحها الشاعر حياة من عنده ، أو من عند الخرافات والأساطير ، فاذا هي حياة بغيضة لا تصلح للتعاطف والمناجاة، ولا يصدر عنها إلا الفزع والاحجام ، ولا تقوم بينه وبينها إلا الحواجز والمداوات .

أما الطبيعة التي تحب وتناجي ، ويتم التعاطف بين الشاعر وبينها عن ثروة غزيرة من الشعر والشعور فهي طبيعة الحور الخافقات في الهواء، والعرائس السابحات بين الأمواج، والعذارى الراقصات في عيد الربيع ، والجنيات الهامسات في رفرفة النسيم ورقرقة الغدير وحنين الصدى وحفيف الأغصان ، أو إن شئت فقل : إنها هي الطبيعة العامرة بما في البروق والرعود والسموات والأعماق من بطولة وعظمة ونضال جياش بالغضب الظافر والسطوة الجيدة والخطر المثير والشجاعة التي تقدم ولا تحجم وترجو ولا تخاف ، أو إن شئت فقل : إنها هي الطبيعة التي تبث الاغراء في كل شيء حتى ليحذر الملاح لجة البحار مخافة أن تستهويه بنات الماء من وراء زرقة الأمواج ، فيثب إلى أحضانها وكأنما يثب إلى أحضان عروس طال بها عهد الغياب

فعلى هذا النحو تتجلى الطبيعة للعبقرية التي تحبها وتمنحها الحياة فليست هي دمية ولا حلية ، وليست هي مروحة للهواء ولا مجلسا للمنادمة ، ولكنها قلب نابض وحياة شاملة ونفس تخف إليها وتأنس بها ، وذات تساجلها العطف وتجاذبها المودة ، ثم هي عمار لاخواء فيه ، وأسرة لا تبرح منها في حضرة قريب يناجيك وتناجيه ، ويماطيك الاخلاص وتماطيه

وقد كان ابن الرومي يحب الطبيعة على هذا النحو ويستروح من محاسنها نفساً تتصبى الناظر إليها وتتبرج له « تبرج الأنثى تصدت للذكر » ويرى وراء هذه الزينة التي تبدو على وجهها عاطفة من عواطف العشق تتعلق بها العفة والشهوة تعلقها بالعاطفة الانسانية الشاعرة »

هكذا يتحدث العقاد عن « حب الطبيعة » بالطاقة التي تحدث بها عن « حب الحياة » والشرح الوافي الذي تجده هناك

وليس من المصادفات أن يكون العقاد نفسه من محبي الطبيعة

فهو إن لم يكن على طراز ابن الرومي، فعلى طراز يتفق وإياه في الأساس، ويختلف حين يكون حب العقاد ممزوجاً بالفلسفة ، والوعي الفني لا يخالط نفسه من هذا الحب ، وهو في هذا يتفق مع طبيعته ، ويسير مع اتجاهه الخاص في حياته وتفكيره

ثم اسمعه يتحدث عن « التشخيص والتصور » في ابن الرومي : « القريحة المطبوعة على إعطاء الحياة ، مطبوعة كذلك على إعطاء الشخوص ، أو على ملكة التشخيص

ولكننا نحب أن نستثني هنا ذلك التشخيص الذي تلجئ إليه ضرورة اللغة وتسهيل التعبير ، مع علم المتكلم بما في كلامه من المجاز والمفارقة ، فقد يتكلم الشاعر أو غير الشاعر عن الشمس بضمير المؤنث وعن القمر بضمير المذكر ، وقد يسند إليهما أفعال الأحياء العاقلة وغير العاقلة ، ولكنه بعد تعبير لفظي ليس وراءه تصور ، وليس وراء التصور — إن كان — أثر من الشعور ، ولاسيما الشعور المتبادل بين طرفين متعاطفين

وإنما المقصود بالتشخيص تلك الملكة الخالصة التي تستمد قدرتها من سعة الشعور حيناً أو من دقة الشعور حيناً آخر . فالشعور الواسع هو الذي يستوعب كل ما في الأرضين والسموات من الأجسام والمعاني فاذا هي حية كلها لأنها جزء من تلك الحياة المستوعبة الشاملة ؛ والشعور الدقيق هو الذي يتأثر بكل مؤثر ، ويهتز لكل هامسة ولامسة ، فيستبعد جد الاستبعاد أن تؤثر فيه الأشياء ذلك التأثير ، وتوقظه تلك اليقظة ، وهي هامدة جامدة صفر من العاطفة خلو من الارادة . وهذا الشعور الدقيق هو شعور ابن الرومي بكل ما حوله وسبب ما عنده من قدرة الاحياء وقدرة التشخيص : قدرة التشخيص التي هي ملكة مقصودة تكون عند أناس ولا تكون عند آخرين ، وليست قدرة التشخيص التي هي حلية لفظية تلجئنا إليها لوازم التعبير ويوحيها إلينا تداعي الفكر وتسلسل الخواطر »

وعلى هذا النحو البارع يمضي العقاد في تصوير ملكات ابن الرومي مستطرداً إلى بحث كامل في الملكات عامة ، يبين صحيحها من زائفها ، ويكشف عن وشائج هذا بذلك مستخلصاً الصحيح من النظرات ، ممحصاً خالصاً

ويمثل هذه البراعة بحلل الأمثلة التي يستعرضها من شعر ابن الرومي ، ويكشف عن نواحي القوة أو الضعف فيها ؛ فاذا الرجل شاخص وراء هذا التحليل ، تطالعك نفسه كالصفحة المبسوطة تحت المجهر الدقيق

* * *

هذه ومضات عن ذلك الكتاب الذي ظن أحد الكتاب عندنا أنه يمنحه أقصى حقوقه حينما قال عنه : « لو تقدم به صاحبه إلى أية جامعة لمنحته الدكتوراه ! »

هه ! الدكتوراه !

ومن يكون الأساتذة الذين يناقشون هذه الرسالة إذن ولمن يمنح « كرسي الأدب » في أية جامعة من جامعات الدنيا إذ ذاك ؟

« حلوان » سيد قطب

بين الرافعي والعقاد

القديم والجديد

نقد وتحليل

للأستاذ محمد أحمد الغمراوي

— ١ —

لعل من أسوأ سيئات عصور الانتقال ظاهرة التمرد التي تغلب على الناشئين فيها ، فقد كان الناس قبل أن يبتلوا بعصر الانتقال هذا يرجعون فيما يختلفون فيه إلى أصول مقررة تستند إلى ما يسلمون به جميعاً من دين ، أو عرف مستمد من دين ، أو إلى أدب عريق تحددت أحكامه وتبينت معاييره ورسخت أصوله على طوال القرون . فلم يكن صغير يخرج على كبير في تحديد ما ينبغي ، ولم يكن ناشئ يتطاول على أستاذ فيما يعلم أنه ناشئ فيه وأنه حديث العهد به . فكان الصغير إذا خالف في سلوكه رأي الكبير يخالف وهو يعرف أنه مخطئ ، ولم يكن ناشئ مبتدئ في الأدب أو غير مبتدئ يخطر بباله — إذا لم يقتنع برأي أستاذه أو من هو في منزلة أستاذه في اللغة أو في الأدب أو في الدين في مسألة بدا له فيها رأي خاص — أن يعيب أستاذه أو يثلبه أو يصغره أو يحاول أن يعرضه لسخرية الناس . وكان الكبار إذا اختلفوا يتحاكمون إلى ما أجمعوا على التسليم به من الأحكام والأصول . فلم يكن الخلاف في المقاييس ولكن في طريقة القياس ؛ لم يكن في القواعد ولكن في التطبيق . فكانوا سرعان ما ينتهي خلافهم إلى اتفاق إن كانوا ممن يبتغون الحق للحق لا للشهوة ، أما الذين تأخذهم العزة بالإثم فلا ينزلون على حكم الحق وإن وضح فأولئك في كل عصر هم مصدر الشقاق والفراق ، سواء أكان العصر عصر استقرار في المعايير أم كان فيها عصر اضطراب يشبه الفوضى كعصرنا الذي نعيش فيه

كان الأمر كذلك وكان الناس في راحة من أجل ذلك . كان يكفي أن يحتج أحد المتناظرين لرأيه بآية كريمة أو حديث شريف أو رواية في اللغة ثابتة تشهد لأحد الرأيين حتى ينزل صاحب الرأي الآخر على رأي الأول من غير أن يجد في نفسه غضاضة ، لأنه في قرارة نفسه يعرف أنه نزل على حكم الآية أو الحديث أو الرواية الصادقة ، وهذه عنده أحكام يجب أن تطاع وأصول يجب أن تتبع ، والغضاضة كانت عنده والهوان في مخالفة تلك الأحكام والأصول بعد أن وضح له وجه الحق منها ، لا في مخالفتها نزولا على حكم الهوى والشهوة . وكان الأمر في ذلك كله مداره الدين وعلم المرء أن الله سائله عن الحق لم لم يتبعه وقد وقر في نفسه ، وعن الباطل كيف اتبعه ولبس به الحق رغم ضميره ورغم قلبه . فكان هذا الوازع الداخلي حاملاً على الحق صارفاً عن الباطل حتى ضعف في الناس على الأخص بفشو هذا التجديد الذي يستمد كل قوته من جلال الغالب في نفس المغلوب

ومسألة القديم والجديد عمرها لا يكاد يزيد على ثلاثين عاما أثارها في الناس نفر تثقفوا ثقافة غربية من غير أن يكون لأكثرهم من الثقافة الاسلامية نصيب مذكور . والغرب والشرق على طرفي نقيض لا يلتقيان كما يقول رديارد كبلنج ، وإن كان من الممكن أن يلتقيا في العلم الذي هو مفخرة الغرب والذي هو جزء من الاسلام الذي يدين به الشرق . لكن الذين أثاروا مسألة القديم والجديد لم يكونوا يعرفون ، ولعل أنصارهم لا يزالون يجهلون أن العلم الذي ظهر به الغرب هو في الاسلام جزء من الدين ، وأن المدنية الغربية ليس فيها ما يستحق أن يطلب ويؤخذ إلا ذلك العلم الطبيعي الذي اهتدى إليه الغرب بالعقل والتجربة ، والذي يمثل فطرة الله التي فطر عليها الأشياء . أما فطرة الله التي فطر عليها الناس فتلك يمثلها الاسلام عن يقين . فكأن الغرب والشرق قد اقتسما علم الفطرة : علمها الغرب في الماديات بالعلم والتجربة ، وعلمها الشرق في الروحانيات والاجتماعيات بالدين والوحي . فكان الشرق مخطئا حين لا يأخذ بعلم الغرب ، وكان الغرب ضالا حين يخالف الاسلام كما أنزله فاطر الفطرة على محمد عليه الصلاة والسلام . وكان سبيل الكمال لهما معا وللانسانية أن يجتمعا على العلم والدين ، علم الغرب الطبيعي ودين الشرق الاسلامي ، فيجتمع لهما بذلك علم الفطرة ونظامها في المادة والروح . وكان هذا أيضا هو سبيل التجديد الصحيح لمن يريد أن يكون مجددا مصلحا ، يجدد للشرق شبابه ومجده من غير أن يعرضه لشر ما يهدد الغرب من أخطار . وهذا هو السبيل الذي دعا إليه جمال الدين الأفغاني وسار على أثره

فيه محمد عبده . لكن دعاة التجديد الذين جاءوا بعدهما من لم يكن لهم مثل علمها ولا بصرهما بالاسلام ضلوا سبيل الدعوة وصدّقوا الغرب فى ظنه الذى ظن بالاسلام من أنه كان سبب تأخر الشرق. ولما لم يطيقوا أن يهاجموا الاسلام مواجهة فيدعوا الناس صراحة إلى نبذه ، عمدوا إلى مهاجمته مداورة بدعوة الناس إلى قبول كل ما عليه الغرب إن كانوا يريدون أن يكون لهم ما للغربيين من قوة وحياة . وزعموا للناس أن المدنية الغربية كل لا يتجزأ ، فإما أن تؤخذ كلها أو تترك كلها، إما أن تؤخذ باجتماعياتها وأدبياتها وعلمياتها وإما ألا يؤخذ منها شيء . فوقع الناس بهم فى مصيبة طامة وفتنة عامة لأن الناس يلمسون قوة الغرب ويريدون أن يكون لهم مثل قوته لينجوا مما هم فيه من رقه واستعباده . فإن كان حقا ما يزعمه لهم دعاة التجديد الغربى من أن لا سبيل إلى ذلك إلا بأخذ المدنية الغربية بحذافيرها فليس لهم فيما يبدو مفر من ذلك ولو كان فى ذلك خروج على الاسلام . ونجحت حركة الالتفات التى قام بها دعاة الغرب ضد سلطان الاسلام فى نفوس من أسنى إليهم من الناس حين ألجأوهم إلى أن يميزوا أنفسهم ذلك التمييز بين الاسلام وبين القوة والحياة ، من غير أن يتعرض أولئك الدعاة فى سبيل ذلك للخطر الذى كانوا يتعرضون له من غير شك لو أنهم دعوا الناس مباشرة إلى نبذ الاسلام . وأصبح الذين أصابتهم فتنة ذلك التجديد كمن أحاط به العدو لابد له من الموت أو التسليم ، أو كمن وجد نفسه مضطرا إلى الاختيار بين قتل والده وبين الحياة . ولقد كان سهلا على من وقف هذا الموقف من الناس أن يفك عن نفسه ذلك الحصار ويخرج من ذلك الاضطرار الوهمى لو أنه كان يعرف حقيقة دينه وتاريخه حتى صدر الخلافة الراشدة على الأقل ، لكن أولياء أمور المسلمين عفا الله عنهم وتداركهم بهدايته وتسديده كانوا ولا يزالون يهملون تعريف المسلمين بدينهم ، وتنشيء أبنائهم وبناتهم فى الروح الاسلامى بالتربية الاسلامية . ومن هنا كان المسلمون عونا لعدوهم على أنفسهم . ومن هنا كان كل ما أصاب أولئك « المجددون » من نجاح ، وما يهدد الاسلام فى بلاده وفى نفوس أهله من خطر . ومن هنا أيضاً هب لدرء هذا الخطر فريق من المجاهدين المحتسبين الذين آتاهم الله فقهاً فى الدين وقوة فى الجنان وبسطة فى البيان ، وفى طليعة هؤلاء كان الرافعى رحمة الله عليه

فالمسألة بين القديم والجديد كما يسمونها ليست مسألة اختيار بين أدب وأدب وطريقة وطريقة ، ولكنها فى صميمها مسألة اختيار بين دين ودين . فالذين يسمون أنفسهم أنصار التجديد يؤمنون بالغرب كله ويريدون أن يحملوا الناس على دينهم هذا ولو خالف الاسلام فى أكثره . والذين يسميهم هؤلاء أنصار القديم يؤمنون بالاسلام كله وبالقرآن كله ويأبون أن يؤمنوا ببعض ويكفروا ببعض ، أو أن يدينوا للغرب مؤمنين به من دون الله . وكل الخلاف بين أنصار « القديم » وأنصار « الجديد » منشؤه هذا ومرده إلى هذا . هؤلاء مثلا يريدون متابعة الغرب فى السفور والاختلاط ليتمتعوا بالحب ! كيفما شاءوا ، وأولئك يرون السفور والاختلاط مفسدة أى مفسدة لأن الله وهو أعلم بخلقه نهى عنهما فى الكتاب . هؤلاء يريدون متابعة الغرب فى ألا يتزوج متزوج إلا واحدة ، وأولئك يرون إباحة تعدد الزوجات لأن الله سبحانه أباحه فى الكتاب . هؤلاء يريدون التسوية بين الذكر والأنثى فى كل شيء ظناً منهم أن الغرب يسوى بينهما ، وأولئك يرون غير ذلك فيما لم يسوّ الله بينهما فيه فى الكتاب . هؤلاء يرون الاسلام ديناً عربياً أنزل للعرب ولا يلائم إلا العرب، وأولئك يعتقدونه دين الانسانية الكامل أنزل للناس كافة بما يضمن صلاح الناس كافة غير متقيد بزمان ولا متخصص بمكان كما نص الله عليه فى القرآن وكما يتجدد عليه فى كل عصر البرهان

ثم أنصار « الجديد » يضيقون ذرعاً بالقيود الأخلاقية التى قيد الدين بها الناس فيما يعملون وفيما يقولون ، ويريدون أن يتحللوا منها فيزعموا للناس أن هذه الأخلاق وقيودها إن هى إلا عرف وتقاليد ، وإن التقيد بالعرف والتقاليد فى الفن والأدب يعوق الفن ويحول دون ترقى الأدب ، فيجب إذن إطلاق الفن وتحرير الأدب من تلك القيود . ومن هنا نشأ خلاف آخر بين الفريقين نقل المعارك بينهما من ميدان الاجتماع إلى ميدان الأدب . فأنصار الجديد يدعون إلى الفن العارى والأدب المكشوف ويدّعون للفنان والأديب حرية فى القول والفعل لم يأذن الله فيها لانسان، وأنصار قديم الاسلام يدفعونهم عن هذا ويحدون حرية الفنان والأديب بما حد الله به حرية كل

إنسان من قيود الدين والأخلاق وإلا عمت البلية بالأدب وصار شراً ووبالاً على الناس . واتسع الخلاف وتشعب بين الفريقين . بعض أنصار الجديد الغربي في توهين السد الاسلامي الذي يجدونه قائماً في وجوههم أينما تلفتوا فيزعمون للناس من طرف خفي أن القرآن من صنع عبقري لا من صنيع الله ، وأنه آية فنية لكنه آية فنية إنسانية لا معجزة إلهية ، وإذن فينبغي أن يخضع لما يخضع له كل عمل إنساني من النقد والفحص والبحث العلمي فيما يزعمون ، ويهب لدرء هـذا الافك العظيم كل كريم نجد من رجال الأدب أو غير رجال الأدب من المسلمين ، ويقاتلونهم على إعجاز القرآن وحرمته وتقديسه ، ويدعونهم إلى خطة إنصاف ليس من إنصاف بعده : إما أن يتركوا القرآن وشأنه لا يتعرضون له بشيء إن كانوا لا يؤمنون به ، وإما أن يذكروه ويدرسوه إذا قدروا على دراسته ، ولكن بنفس روح الاحترام والاحتياط والاجلال الذي يدرس به العلماء الشمس والنجم والبحر وما إليهـا من الظواهر الكونية الثابتة التي لا يد في خلقها للانسان . وهي كما ترى كلمة سواء غاية في الانصاف ، لو كان لدى أنصار الجديد الروح الذي يقضي بقبولها لما كانت هناك تلك المرارة في القتال التي جلبها عدم قبولهم شطر الكلمة الأول ، ولاصطلح الفريقان وتحابا واجتمعا على التجديد الحق في الأدب وغير الأدب لو أن أولئك قبلوا شطر الكلمة الثاني . وإذن لما كان هناك أنصـار جديد وأنصار قديم ، ولكن فئة واحدة من المجددين المصلحين الذين يعملون بالحق للحق ضمن دائرتي العلم والدين اللتين يشملهما الاسلام جميعاً

إن من أشد ما يؤسف له أن تفترق قوة أولى القوة في الشرق هكذا فرقتين، إحداهما تهدم والأخرى تدفعها عن الهدم، فيشتغل الفريقان جميعاً عن التجديد والبناء ، وعدوهما واقف لهما بالمرصاد . لكن التمني لا يجدى والواقع هو الواقع . فستستمر المعركة بين أنصار جديد الغرب وأنصار قديم الاسلام كأشد وأحمى ما تكون حتى يقضي الله بينهما بحكمه . ومهما يكن من ذلك فالموقف بين الفريقين هو في صميمه كما صورنا . وعلى أساسه يمكن النقد في غير كبير عناء أن يضع الأمر بينهما في نصابه فيما كان وفيما يجد من خلاف . وسنضرب فيما نستقبل من الكلمات مثلاً لذلك بتبيين وجه الحق فيما احتدم حول أدب الرافعي رحمه الله من جدال

محمد احمد الغمراوي

بين الرافعي والعقاد

على هامش المعركة

للأستاذ محمد رفيق اللبابيدي

سيدي الأستاذ محرر الرسالة

كتب الأخ الصديق الأستاذ الطنطاوي في معرض التعليق على ما يكتبه الأخ الصديق والزميل الأستاذ سيد قطب . وآثر أن يشتد فيما كتب وأن يسرف في سوء الظن فيما يكتبه الأستاذ قطب

وبيني وبين الأستاذين الطنطاوي وقطب من الدالة ما يسمح لي أن أقول كلمة في الموضوع الذي بسطا القول فيه ، ومن حق كزميل لثاني عرفه حق المعرفة أن أرد على أخي الطنطاوي بنفي قوله : إنه لا يعرفه وإنه الخ ... فلقد سبق أن عرف الأستاذ الطنطاوي الأستاذ سيد قطب وزامله أيضاً حين كنا ثلاثتنا في فصل واحد وفي سنة واحدة من مدرسة دار العلوم العليا ، على أني لست بسبيل تقرير هذه المعرفة فهي ليست بشيء في الموضوع الذي أريد أن أقول كلمتي فيه

* * *

كنت قبل أن يكتب الأخ الطنطاوي أوشك أن أكتب في موضوع الخلاف بين الأساتذة العريان وشاكر وقطب ، وأنا أعرف رأي الأخ قطب في الرافعي من قبل، وأعرف أنه رأي «غير تقليدي» ، فلقد كنت في دار العلوم وكانت حلقـة الاخوان تضم قطباً وكنا دائماً على طرفي نقيض ، فجماعة منا مع الرافعي وأخرى عليه، وكان على ما أذكر الأخ قطب لسانها ، فليس حقاً أن يتهم الأستاذ قطب في رأيه هذا، فهو رأي عقيدة — وإن كنا نخالفه فيها كل المخالفة — ثم إن الأخ قطباً من إخواننا الناهين المعروفين في البيئة الأدبية، وليس من العدل أن يجهل هـذا الجهل ويرمي بهذا النبز من القول الذي جاء في مقال الأخ الطنطاوي

وإذا كان خطأ مناظرك في الرأي مدعاة للتجهيل والوقوع فيه وفي فضله وفي علمـه فلم يبق ثمة مجال للجدل والنقاش

الأدبيين، وهنا اتهام صريح للرسالة ومحرر الرسالة في إفساح المجال لمن لا يعبأ بقوله أو رأيه . وأعتقد أن الأخ الطنطاوى على قدرى إياه كل التقدير وإعجابي به كل الاعجاب قد تنكب أصول النقاش والنقد فى الأدب فى الوقت الذى يتهم سواه بهذا الجنوح ...

* * *

بعد هذا نحب أن نلج موضوع النقاش من بابه ولا نثب من النافذة ، فالأستاذ سيد قطب على ما نعتقد ونرى وعلى ما يتسع له علمنا واطلاعنا لم يوفَّق بعض التوفيق فى رأيه فى فقيد الأدب العربى المرحوم الرافعى، كما أنه لم يوفق ولا بعض التوفيق فى نفاحه عن الأستاذ الكبير العقاد

وأصوله وقواعده التى اتجه إليها فى كتابته فى هذه الموازنة على تسامحنا بهذه التسمية ليست أصولَ الملمّ بأدب من وضعهما فى كفتى الميزان الفنى . فلا هو يستطيع أن يقول : إنه قرأ كتب العقاد جميعها — على ما يذهب إليه من وجوب اجتماع أكثر من ثقافة واحدة لفهم ما يكتب أو يقول الأستاذ العقاد — ولا هو يطيق أن يقول أيضاً : إنه قرأ الرافعى قراءة المستوفى المستكمل

والأخ الأستاذ سيد قطب معى فى أن ما تناوله من أدب الرافعى غيض من فيض ، ولعله جنح إلى ما يمكن أن يوقع فيه واختاره ليقول فيه قوله الذى قال ، وما يمكن أن يقال فى مثل هذا من شعر الرافعى يقال فى مثل هذه القصيدة التى أضعها بين يدى القراء من شعر العقاد ، قال الأستاذ من قصيدة يعارض فيها ابن الرومى[1] :

هل يعرف البيضُ أن الحسن جوهرة
لما اشتراه ثراء النفس أثمانُ

يقنو نفائسه من لا يسوّمه ... وقد يعز على الّلآل قنيان
يا جوهراً بت أرعاه على أمم ... رعى الشحيح ومالى فيه سلطانُ
ما فى يدى منه لا عينٌ ولا أثرٌ ... ولى عليه مغاليقٌ وأعيانُ
قد نلت ما نلت من حظ به عرضاً ... وقد تولى لحظى منه فقدان
إنى على الرغم من عينيك مفتقرٌ ... يا ضوء قلبى فان القلب صدْيانُ

وحسبى أن أسأل الأستاذ قطباً رأيه فيها دون أن يكون منى أى تعليق . . .

* * *

(١) ديوان العقاد ص ٤٠

بعد هذا فالحق أن الأستاذ العريان كان منصفاً كل الانصاف فيما يؤرخ به حياة الرافعى — رضوان الله عليه — وليس معنى هذا العصمة من كل خطأ ، وأىٌّ الكاتبين الكامل ؟ ؟

ومن الحق أن الأستاذ قطباً تقحم الموضوع على الأخ العريان وأراد أن يثير بين أنصار الرافعى وأنصار العقاد، والفريقان كثر، معركة أدبية لعل من الخير لو ثارت على غير هذا اللون من البحث، والجدلُ البعيد عن الأثرة يفتق القرائح، وربما جاء بخير كثير وأفاد منه النشء والبيئة الأدبية ، ولربما كشف عن مواهب كانت مستورة ، وعلم كان خبيئاً ، وفضل لم يكن يعرفه القراء

وقد قرأت ما كتبه الأستاذ قطب فى نقده فوجدت ألمعية واستعداداً ذاتياً وقوة وبراعة واتساع أفق ، ولكنى لم أجد فى تضاعيف هذا كله الحجة التى تقنع أو تمسح ما فى نفسى مما قرأت لها من أدب الرافعى وأقرأها إياه الكاتبون فى أدب الرافعى

والرافعى — أحسن الله للأستاذ الزيات — كان كنزاً مخبوءاً فى نثره كشفته الرسالة لقراء العربية عامة بعد أن كان معروفاً عند الخاصة فى كتبه وفى نتف من بيانه التى كان يتناقله الأدباء من هنا وهنالك

وقد يجوز للأستاذ قطب أن ينكر ناحية من نواحى أدب الرافعى وأن يدلل على ذلك بقوة، ولكن لا يجوز فى منطق سائغ أن ينكره أديباً على الاطلاق

كما يجوز لى — على صغرى وضيق أفقى — أن أنكر شاعرية العقاد إنكاراً أود لو يتسع لى المجال من فسحة هذا العمل الآلى لأبرهن عليه بما يسمى من حجة أو تدليل ، على أن إنكاري هذا ليس بضائر فضل الأستاذ العقاد وهو فى رأيى الكاتب الثائر الجبار فى عمق مادته وسعة اطلاعه وغزارة ثقافته

أما أن أثب وثباً منقطع النظير فأنكر العقاد أديباً وأتجاهل رأى الكثرة الكاثرة من قرائه وأصحاب الرأى الحسن فيه فذلك مما لا يقفنى موقف المسموع الرأى عند أهل البصر فى الأدب

* * *

وقرأت للأخ قطب مقاله الأخير ومحاولته أن يجمل من

قصيدة الأستاذ العقاد فى الجيبون دائرة معارف ثقافية ففيها من كل علم ومن كل فكر، فهل لو صح هذا كان شعراً . والشعر من الوجدان وإلى الوجدان وماله وهذه اللفتات إلى ما هو عميق متكلف ؟

وهل لو صح هذا الوزن لشعر الشعراء واصطنعنا هـذه المقاييس التى يتفضل بها الأستاذ قطب تكون قرّبنا الشعر من الطبيعة الصادقة والفطرة السليمة والذوق الذى لا تشوبه شائبة النظريات العلمية القلقة ...

اللهم لا، ثم لا . وللحديث رجع إن شاء الله

(حيفا — فلسطين) محمد رفيق اللبابيدى

المدرس بمدرسة حيفا الثانوية الأميرية

حاشية : كان الأستاذ الطنطاوى قد التحق فى مدرسة دار العلوم العليا ولبث فيها قرابة الشهرين — على ما أذكر — ثم آثر أن يعود إلى دمشق ولعل الذاكرة خانت الأخ فنسى أن الأستاذ قطباً كان قيد خطوات منه فى حجرة الدرس

الفروسة العربيـــة

للأستاذ جميل قبعين

— ١ —

محاضرة قيمة ألقاها الميجر كلوب قائد قوة البادية فى شرق الأردن بتاريخ ٢٠ تشرين ثانى سنة ١٩٣٦ فى الجمعية الأسيوية الملكية فى لندن ونشرتها مجلة الجمعية فى عدد يناير سنة ١٩٣٧

تحمل كلمة الفروسية معاني مختلفة فى انكلترا وتوقظ فى أذهان الكثيرين منا شعوراً مبهماً وانطباعاً خيالياً عن فرسان بأسلحتهم اللامعة وملابسهم الجميلة الجذابة، وقد نستعمل هـذه الكلمة فى كثير من الأحيان للدلالة على احترام المرأة، ولكن إذا ما رجعنا إلى الحقيقة وجدنا هـذا الاتجاه فى التفكير عن الفروسية سطحيا وخياليا لأن الفروسية نشأت وانتشرت كنظام خاص في الحياة عند بزوغ فجر المدنية . ولكي أوضح ما أقصد باستعمال كلمة الفروسية يجب أن أرجع بكم إلى العصور الخالية عنـد ما كانت موارد الرزق تنحصر فى الزراعة وتربية المواشى، وكان الانسان فى انكلترا وأوروبا على العموم يستطيع أن يجمع بين العملين معا لأن جو هذه البلاد الرطب كان يهيئ كثرة الكلأ وخصوبة المرعى، ولذلك كان بامكان المزارع أن ينصرف إلى أعمال الحرث والحصاد، وفى نفس الوقت يقتنى المواشى التى ترعى بالقرب من مزرعته لكثرة الأعشاب . ولكن تطبيق هذه الطريقة فى تنظيم العمل كان متعذرا فى القارات الأخرى وعلى الأخص آسيا وافريقيا حيث تقل الأمطار وتعانى مساحات واسعة منها المحل والجفاف لقلة سقوط الأمطار وبطبيعة الحال تقل المراعى وتبعد المسافة بينها — ولذلك كان المزارع الذى لا يتمكن من ترك حقله غير واجـد مرعى لأغنامه . وهكذا كان الجمع بين الزراعة والرعى غير ممكن . ولذلك بقى سكان تلك البلاد ألوف السنين منقسمين إلى قسمين متباينين الرعاة والمزارعين أو البدو والحضر، وهكذا أوجدت طريقتا المعيشة بينهما تباينا فى الأخلاق وتباعدا فى المجتمع فتأصل العداء .

قد يستغرب الرجل الانكليزى فى هذه الأيام أن يجد عندما يزور البدو تشابها عظيما بين عاداتهم وبين عادات الفرسان الاوروبيين فى العصر الاقطاعى؛ ولهذا ترون أنى استعملت كلمة «الفروسية» عنوانا لمحاضرتى .

وقد يكون غريباً أن تعلموا أنه لا توجد كلمة فى اللغة العربية للدلالة على الفروسية كنظام خاص مع العلم بأننا نرى البدو يعيشون بروح فرسان القرون الوسطى، والسبب فى ذلك أنهم لا ينظرون إلى نظام معيشتهم كنظام يمكن درسه بل كحياة طبيعية ولما كانوا لا يعرفون القراءة لم يتمكنوا من درس أنظمة غيرهم من الأمم، ولهذا لم يجدوا ضرورة لايجاد اسم خاص لطريقتهم فى الحيـاة . ولو وصفت الصفات المميزة للفروسية لمزارع أو حضرى من سكان هذه البلاد لأجابك على الفور أنك تتكلم عن حياة البدو. وعليه فإنى أرجو من حضراتكم أن تبعدوا المعنى الخيالى الذى يتصل بكلمتى الفروسية والفرسان لأنى أعنى باستعمال هذه الكلمة عادات البدو أى نظام الحياة اليومى ونظام الحكم الديمقراطى بينهم

حياة البدو والمزارع

يمكننا عند دراسة أخلاق وطباع البدوى والمزارع أن نبدأ بدراسة وجهة نظر كل منهم نحو الحرب . تنحصر كل ثروة المزارع فى مسكنه وحقوله وأشجاره فإذا ما سلم أملاكه إلى عدو يصبح على الفورجائعاً متشرداً ، وهذه النتيجة المنتظرة تجبره على الاستماتة فى الدفاع إذا ما هوجم ، وفى نفس الوقت نرى أن الزراعة عمل مستمر يستوعب كل أوقات الفصول الأربعة بحيث لا يبق له وقت يقضيه بالسفر والتنقل بحثاً عن المغامرة ، ولذلك نجده يدافع دفاع المستميت دون الاهتمام بقواعد الحرب أو بتطلب المجد الشخصى ، وحالة المزارع هذه تقوده إلى أن ينظر إلى الحرب نظرة الكراهية ، فاذا ما هوجم نرى أن همه الأول أن ينتصر بأسرع ما يمكن بطرق شريفة أو غير شريفة ، وبما أن غرضه الأسمى هو الدفاع لا المجد ، وبما أنه يقطن فى القرى نراه يفرض على كل شخص فى المجتمع أن يشترك فى الدفاع لكى يضمن السلامة والفوز . وهكذا يمكننا حصر نظرة المزارع إلى الحرب فيما يلى :

١ — الدفاع المستميت

٢ — كره المغامرات الحربية

٣ — التصميم على الفوز بطرق مشروعة أو غير مشروعة

٤ — فكرة خدمة المجتمع

أما نظرة البدوى للحرب فهى على العكس تماماً وذلك لأن ثروة البدوى هى الخيل والجمال والغنم وليست من الأملاك الثابتة كالبيوت والحقول والبساتين ، لذلك نراه غير مضطر لمقاتلة عدو قوى إلى الرمق الأخير بل على العكس قد يتمكن من انقاذ كل أمواله بتقهقر منظم سريع . وعلاوة على ذلك فان المواشى شيء مزعج فى الحرب إذ أنهـا قد تتشتت أو تذبح ولو كان صاحبها منتصراً فى الحرب . كل هذه الاعتبارات تشير إلى حقيقة واحدة وهى أن طريقة البدوى فى الدفاع ضـد عدو قوى هى التقهقر السريع وليست الاستماتة فى الدفاع كما يفعل القروي

وهنا لا يسعنى إلا أن أتحول قليلا من البحث عن الحرب إلى السياسة . إن الفلاح يدافع عن بلدته ويقاتل قتال المستميت دونها ولـكنه إذا غلب على أمره خضع واستسلم إلى العدو تمسكا بقطعة أرض يتركها له غالبوه ، وإذا ما سمح له بالبقاء يدفع الضرائب الفادحة صاغراً ويتحمل أنواع الذل والاهانة . أما البدوى فاذا وجد نفسه محاطاً بعدو قوى استكان دون مقاومة وتظاهر بتقديم الخضوع إلى كبير الفريق الغالب حتى إذا ما رأى من عدوه غفلة رحل بسرعة إلى مكان قصى أمين حيث يصبح حراً طليقاً . وهكذا نرى أن البدوي رغم ضعفه فى الدفاع ذو نفسية استقلالية تصبو إلى الحرية وهو أوسع حيلة وأعز نفساً وأعظم كبرياء من القروى

وفى الهجوم أيضا نجـد البون شاسعا بين البدوى والمزارع فان هذا الأخير مرتبط بأرضه وبأعماله المستمرة ، أما البدوى فقليل الشاغل كثير الفراغ وهو بسائق فطرته وطريقة معيشته معتاد ركوب الخيل والجمال وتحمل الأسفار البعيدة الشاقة ولذلك كانت المغامرات الحربية موضوع فخر وتسلية له وكانت الشهرة والمجد مطمعه فى الحياة ، لأن نظرة البدوى إلى الحرب لا تتجه لخدمة المجتمع نراه يتطلب فى حروبه المجد والفخر والقيام بالأعمال العظيمة التى تنيله الشهرة ، فالمجد والشهرة هما غايته من الحرب لا سلامة المجتمع .

إن أساليب الحرب فى نظر البدوى أهم بكثير من النصر وكسب المعركة ، والمجد بالتسابق بأعمال البطولة على أساليب الشرف هدفه الأسمى فى القتال . وقد نشأ عن ذلك أساليب وعادات معقدة ورثنا بعضها فيما نسميه الروح الرياضية . فالبدوى لا يجد من الشرف أن يهاجم رجلا نائما أو أقل منه سلاحا ، وهكذا ظهرت تقاليد أهم صفاتها تطلب المجـــد والشهرة وإثارة روح التقدير والاعجاب فى الآخرين باتباع أساليب الشرف . ولا يجد البدوى غضاضة فى الاعتراف ببطولة العدو إذا كانت أساليب الشرف والاستقامة رائد هذا العـدو فى الحرب . كما أنه ينظر بازدراء للقروى الذى يحارب بقصد النصر دون التمسك بأساليب الشرف .

توجد ناحية غير مستحبة فى طباع البدو الحربية وهى الانانية والحسد ، فالمحاربون البدو يحاربون لإظهار فروسيتهم ورجولتهم وشجاعتهم الفردية بقدر الامكان ، وقد لا يشعر أحدهم بكراهية

نحو عدو بعيد ولكنه ينفجر حقداً إذا ما نافسه أحد رجال قبيلته بأعمال البطولة وسبقه بالشهرة . قد نرى نحن الأوروبيين أن هذا أمر غير مستحب، ولكن الحقيقة أن هذه الصفة كانت من أهم الصفات الظاهرة لدى النبلاء الأوروبيين في العصر الاقطاعي ومع أنها صفة غير جذابة ولكنها إحدى صفات الفروسية .

معاملة المرأة

إن الشيء الثاني الذي يميز حياة الفروسية أو حياة البدو هو طريقتهم في معاملة المرأة، فالمزارع مرتبط بعمله الممل المنهك فلا ينتظر منه أن يشجع زوجته على التجمل والراحة في البيت بينما هو يقضي ١٢ — ١٣ ساعة يومياً في أعماله الزراعية ، ولذلك تجد أن نساء المزارعين كن دائماً خشنات المظهر لاشتراكهن في الأعمال الشاقة خارج البيت . وربما أوجدت حياة المزارع الجافة فيه عقلية خاملة خالية من الجو الخيالي البهيج

ولكن نظرة البدوي إلى المرأة تختلف تماماً عن نظرة المزارع اليها لما ذكرنا فيما سبق من أن البدوي قليل المشاغل وغايته القصوى في الحياة المجد وإثارة الاعجاب . ومن الطبيعي أن الانسان عند ما يتطلب ميزة خاصة على غيره يتطلب أن تعترف له المرأة بتلك الميزة ، وأن إعفاء المرأة البدوية من الأعمال الجسمية الشاقة المنهكة جعلها تحتفظ بنعومتها ورشاقتها ، ومن الممكن أن فراغ وقتها أعطاها الفرصة الكافية للتزين والتجمل ، ولذلك بقيت جميلة مشتهاة أكثر من زميلتها القروية الخشنة

ينظر القروي إلى المرأة كوسيلة للخدمة والولادة وواسطة للربح . أما البدوي فيرى فيها مخلوقاً يجب العطف عليه والتغني به ويتخذها البدوي حكماً لتقدير أعماله . ومن المفيد أن نذكر أن المرأة البدوية بالرغم من كونها تعامل معاملة أحسن من زميلتها القروية ، فإنها لم تكن مساوية للرجل ، وأن التقدير والاعجاب اللذين كانا محيطين بها راجعان إلى اختلافها في التكوين والخلقة عن الرجل — فالرجل كان المحارب والحاكم، والمرأة هي الجمال . إن الفروسية لا تعترف بمساواة الجنسين لأنهما مخلوقان مختلفان والمرأة لم تحاول أن تشارك الرجل في الحكم يوماً . وفكرة مثل هذه كانت غير مستحسنة من الطرفين

مزايا البدو الأخرى

إن طلاب المجد وحب الشهرة خلقا في البدوي مزايا أخرى أهمها الكرم والسخاء. يعتمد البدوي في حياته على قطعانه، وهي بطبيعة الحال عرضة للسلب والفقدان في كل لحظة ، وهذه الحال قد تجعل الرجل الغني الوفير الخيرات في القبيلة يصبح فقيراً معدماً في اليوم التالي — وفي نفس الوقت قد يسترجع ما فقد بغزوة ثانية موفقة يقوم بها ، ولذلك فان البدوي يشبه الأموال بالأوساخ العالقة باليد تأتي اليوم وتذهب غداً . إن حياة التنقل المستمر جعلت من الصعب على البدوي أن يحتفظ بكثير من ضروريات الحياة ، كما أن حبه للظهور وتعطشه للمجد كان لها أثر كبير في أعماله القريبة من الخيال ؛ فهو مستعد دائماً لأن يبذل كل ما يملك أو يمنح بسخاء جميع ما غنمه في غزوة شاقة خطرة لكي يظهر بمظهر شائق . أما القروي فهو بعكس ذلك تماماً لأن حياة الشقاء التي يعيشها واستقراره وتمكنه من التوفير أسباب كافية لجعله مقتراً

إن إحدى النتائج التي أوجدها الكرم هو حسن الضيافة . وإني لا أجد ضرورة لأن أقول بأن كل بدوي يملك بيتاً مفتوحاً أو بالأصح خيمة مفتوحة للضيوف في جميع ساعات الليل والنهار ، وتكون الخيمة مقسمة إلى قسمين أحدهما للعائلة والآخر للضيوف. ولقد جرت العادة أن يضيف البدوي ضيفه ثلاثة أيام قبل أن يسائله من أين أتى وما هي مهمته

وهذا الكرم يصل إلى الفقراء من القبيلة ، إذ أن من عادات البدو ألا يهملوا شيخاً ولا فقيراً ، ولا يمكن لإنسان يعيش بين البدو أن يموت جوعاً . وكثيراً ما نرى شيخ القبيلة يوزع بعد عيد أو وليمة اللحم والأرز بنفسه أو برسله إلى بيوت المسنين والأرامل . ويمكننا تلخيص صفات البدو فيما يلي :

١ — السعي وراء الشهرة في الحرب بالقيام بأعمال البطولة

والمغامرات الفردية دون الاهتمام بربح المعركة

٢ — تقدير المرأة واحترامها لأنوثتها واتخاذها وسيلة للتسلية والتمجيد وإن كان لا ينظر إليها كمساوية للرجل

٣ — وجود دافع داخلي في البدوي يدفعه إلى القيام بأعمال البطولة والكرم حتى تكون أعماله هذه أقرب إلى الخيال منها إلى الحقيقة في أكثر الأحيان

٤ — الكرم وحسن الضيافة الحاتميان ويرجع سببهما أولاً إلى عدم الاطمئنان إلى بقاء الممتلكات بصورة مستمرة، وثانياً إلى حب التفوق والمجد اللذين يسعى البدوي إلى تحقيقهما في الحرب أيضاً

ولكي أشرح هذه الصفات الأربع سأستشهد ببعض قصص تصف لنا الفروسية العربية. والقصص التي من هذا النوع أكثر من أن تحصى. وقد أشاد بذكرها الشعراء وامتلأت بأخبارها كتب الأدب وتغنى بها العشاق والمطربون. ولقد كان هذا شأن التروبادوز Troubadour في القرون الوسطى في أوروبا، واسمهم هذا مشتق من فعل طرب العربي. وقد كانوا يتجولون في البلاد مثيرين الحماسة برواية قصص الأبطال والأحاديث الغرامية

وسأقتصر على بعض القصص والحكايات كما أني سأذكر تجاربي الخاصة

«يتبع» جميل تيمور

ماضي القرويين وحاضرها

للأستاذ عبدالله كنون الحسني

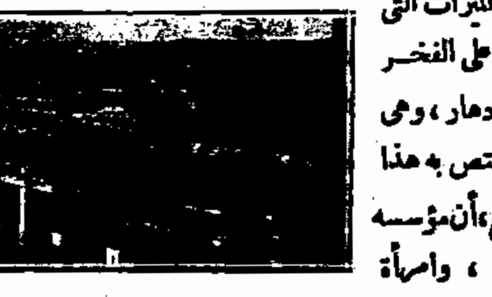
— ١ —

كتب الأستاذ علي الطنطاوي في العدد (٢٣٦) من «الرسالة» بمناسبة إظلال العيد الألفي للجامع الأزهر يقترح على أبناء جامع القرويين والزيتونة والنجف أن يتحدثوا لقراء «الرسالة» عن شيء من تاريخ هذه المعاهد وما ساهمت به في خدمة الثقافة الاسلامية وفنون المعارف الأخرى، كما سيتحدث أبناء الأزهر في ذلك العيد القريب عن أزهرهم ويقومون بإحياء ذكراه الخالدة المحفوظة في ضمير الزمان ما بقي من يراعي الجيل من بني الانسان. وذلك لأن كثيراً من الناس يتشوفون إلى معرفة أحوال هذه المعاهد والأطوار التي اجتازتها منذ تأسيسها إلى الآن، وسيبلون عطشهم بالنسبة إلى الأزهر؛ أما بالنسبة إليها فسيبقون أعطش مما كانوا، لأن الذكرى تبعث الذكرى. فلا أقل من أن يحظوا ببلالة من العلم في كلمة أو كلمتين عن تلك الجامعات التي غبرت هي والأزهر مدى أجيال تشع على العالم أنوار العلم والمعرفة وتتدرج بالفكر الانساني في مدارج النمو والارتقاء.

(جامع القرويين)

وقد استحسنا اقتراح الأستاذ ولبثنا مدة ننتظر من يستجيب له ويتحفنا بالحديث عن أي جامع كان من تلك الجوامع فما ظفرنا

إلا بالخيبة والملل ، وأخيراً تكلم بعض أفاضل النجف عن جامعه وهو ثالث الثلاثة الأحق ببسط الكلام فيه والتوسع في الحديث عنه، ولكن ذلك الفاضل اقتضب القول فيه اقتضاباً ووعد بالتبسط مرة أخرى وإنا لوعده لمنتظرون . وقد حبب إلينا لما بقي الميدان خالياً بل رأينا من الواجب أن نتقدم بكليات عن جامعنا القروي الماس يتعرف بها الجمهور العربي من قراء « الرسالة » عظمة تاريخ ذلك المعهد وما قام به من خدمات جلى للعلم والمعرفة طوق بها المدنية الغربية في فجر نهضتها بأياد بيضاء :



جامع القرويين

فأولى الميزات التي تبعث على الفخر والازدهار ، وهي مما اختص به هذا الجامع، أن مؤسسه امرأة ، وامرأة من صميم الشعب ، لا ملكة ولا أميرة . وفي هذا ما يكفي رداً ما يتقوله المتقولون على المرأة المسلمة ويصمونها به من الجهل والتأخر عن مجاراة سنن الحياة ؛ إذ ما عهدنا في تاريخ أمة من الأمم وفي العصر الحاضر أن يكون مؤسسو الجامعات العلمية العالية من النساء . ولكن الاسلام الذي رفع من شأن المرأة وأعلى من قدرها إلى ما لم تبلغه في أية شريعة أخرى سواء كانت سماوية أو وضعية هو الذي سما بنفس السيدة أم البنين فاطمة بنت محمد الفهري — إلى هذا المقصد النبيل وبعث فيها الرغبة الملحة إلى بناء جامع القرويين بمالها الحلال الذي ورثته من أبيها وزوجها ، لم تنفق فيه سواه احتياطاً منها وتحرجاً من الشبهة ؛ وذلك عام (٢٤٥) وكانت لم تزل صائمة منذ شرعت في بنائه إلى أن تم وصلت فيه شكراً لله تعالى الذي وفقها لذلك العمل المبرور

وهذا التاريخ الذي بني فيه جامع القرويين لا شك أنه أقدم من تاريخ بناء الأزهر الذي كان سنة (٣٥٩) . فقول الأستاذ فريد وجدي في دائرة المعارف : « إنه أقدم مدرسة في العالم بعد مدرسة بولونيا بإيطاليا فقد تقدمته بأكثر من أربعة قرون » غير صحيح ، لا بالنسبة للقرويين كما رأيت ، ولا بالنسبة إلى كلية بولونيا المذكورة لأن تأسيسها إنما كان سنة (١١١٩م) أي بعد الأزهر بنحو قرن ونصف . إذ أن مقابل تاريخ بنائه من الميلادي يكون حوالي (٩٧٠) وحينئذ فترتيب هذه الجامعات في القدم يكون هكذا : القرويين فالأزهر فجامعة بولونيا

ومن المعلوم أن القرويين لأول بنائها لم تكن على ما هي عليه اليوم من السعة والفخامة ، فقد زيد فيها كثير ، وجدد بناؤها مراراً، وأولى الزيادات كانت في أيام دولة زناتة سنة (٣٠٧) ، ثم في أيام عبد الرحمن الناصر الأموي خليفة الأندلس الذي دانت له البلاد ردحاً من الزمن . وقع تجديد لبناء القرويين وزيادة أخرى فيه وذلك سنة (٣٤٥) ، ثم كان إصلاح جديد في أيام المنصور ابن أبي عامر حاكم الأندلس وحاجب الخليفة هشام بن الحكم سنة(٣٨٨) . ثم في دولة لمتونة في أيام أمير المسلمين علي بن يوسف ابن تاشفين نقض المسجد كله وزيدت فيه زيادة مهمة من جميع جهاته واحتفل في بنائه وزخرفته إلى الغاية وكل ذلك سنة (٥٣٨) أي بعد وفاة أمير المسلمين علي بن يوسف بسنة

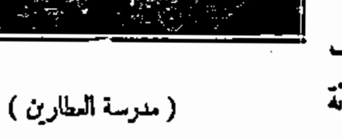
ولما ملك الموحدون فاس سنة (٥٤٠) خاف فقهاء المدينة وأشياخها أن ينتقد عليهم الموحدون النقش والزخرفة التي فوق المحراب لقيامهم بالتقشف والتقلل ، وقيل لهم إن أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي يدخل غداً المدينة مع أشياخ الموحدين بقصد صلاة الجمعة بالقرويين، فأتى الحامون الجامع تلك الليلة وغطوا على ذلك النقش والتذهيب الذي فوق المحراب وحوله بالورق ولبسوا عليه بالجص ودهن بالبياض فاختفى أثر ذلك ولم يبق ظاهراً إلا البياض

ونلاحظ هنا أن فقهاء المدينة وأشياخها إنما خافوا انتقاد الموحدين عليهم لما كانوا هم المباشرين لبناء المسجد وزخرفته ولم يكن ذلك من عمل المرابطين الذين قام عليهم الموحدون ؛ وكذلك كان هذا المسجد منذ تأسيسه من الشعب وإليه . فمعظم هذه الزيادات — إن لم نقل كلها — كانت مما قام به أفراد من الشعب فقهاء وأئمة وغيرهم ، بعد استئذان الحاكم طبعاً . ولشد ما كانوا يتحرون في المال الذي ينفق على ذلك ، بل في الآجر والماء والتراب الذي كان يدخل في البناء فلا يصرفون فيه إلا ما كان من أصل طيب ؛ وربما اشتبه عليهم مال أحدهم فأدى الأيمان الغليظة على أنه من الحلال الخالص الموروث عن آبائه الذين صار

إليهم من عمل شريف إلى غير ذلك مما تراه مفصلاً عند ابن أبي زرع في القرطاس والجزنائي في زهرة الآس وابن القاضي في جذوة الاقتباس

هنا كان قد بلغ الجامع كماله فأتى دور المصالح والمنافع والمرافق الملحقة به من سقايات وميضآت ومستودعات وخزانات ومقاصير ومدارس وما إليها . وأهم ذلك خزانة الكتب التي أسسها به السلطان أبو عنان فارس المريني وأودعها كما يقول الجزنائي : « من الكتب المحتوية على أنواع من علوم الأبدان والأديان واللسان والأذهان وغير ذلك من العلوم على اختلافها وتنوع ضروبها وأجناسها ووقفها ابتغاء الزلفى ورجاء ثواب الله الأوفى ، وعين لها قيما لضبطها ومناولة ما فيها وتوصيلها لمن له رغبة . وأجرى له على ذلك جراية مؤبدة تكرمة وعناية وذلك في جمادى الأولى سنة ٧٥٠ »

وأسس أبو عنان كذلك خزانة مصاحف احتفل في بنائها وتشييدها بما لم يسبق إليه ، وأعد فيها جملة كثيرة من المصاحف الحسنة الخطوط وكلف بها من يتولى أمرها على أحسن الشروط . ثم لم تزل الملوك والسوقة تقف الكتب على خزانة القرويين بعد ذلك حتى اجتمع بها من المجلدات العلمية والأدبية والدينية ما لا يدخل تحت حصر ولا يستوفيه عد ولا حساب



(مدرسة العطارين)

وأما المدارس وهي بيوت الطلبة الملحقة بالقرويين ، فإن من أقدم ما بني منها مدرسة الصابرين التي أسسها أمير المسلمين ابن تاشفين حوالى منتصف القرن الخامس الهجرى (٤٥٠) .

والمرينيون هم سباق هذه الحلبة الذين خلفوا لنا أكبر عدد من المدارس المتقنة الصنع المحكمة الوضع ، لا حول القرويين فقط بل في جميع أنحاء المغرب ولما كان كلامنا هنا إنما يساق إلى القرويين فلنذكر بالخصوص مدرسة العطارين التي بناها السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق. ومدرسة أبي عنان اللتين تعدان قطعتين خالدتين من فن العمارة والنقش والتخريم والتزويق المغربي . وقد تلحق بهما مدرسة الشراطين التي بناها مولاى رشيد من ملوك دولتنا العلوية العلية . أما غير هذه المدارس فإنها وإن لم تكن مثلها في بداعة الشكل وجمال الصنعة إلا أنها لا تقل عنها فخامة بناء ورحابة فناء



المدرسة البوعنانية

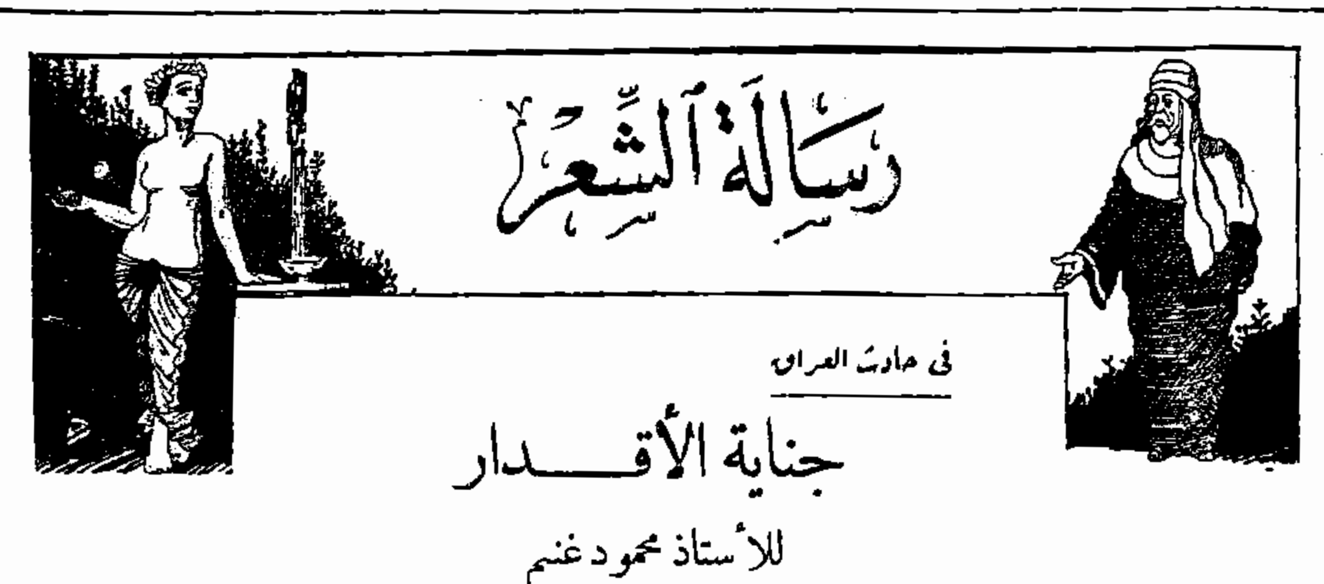
هذه العناية الفائقة بالقرويين والاهتمام البالغ النهاية بأمره من الشعب ثم من الحكومة في كل عصر وفي كل دولة — تدلنا على ما كان له من مكانة سامية في النفوس منذ عهد تأسيسه وما كان يختص به من الاحتفال والاهتمام دون بقية المساجد الأخرى . وإلا فأخوه وشقيقه جامع الأندلس الذي بنته السيدة مريم أخت أم البنين وشقيقتها لم يظفر بعشر مما ظفر به هو من ذلك ، بل إنه ما لبث أن غطى على جامع الأشراف الذي أسسه المولى إدريس ثاني ملوك الدولة الإدريسية ومختط فاس وبانيها سنة (١٩٢) فنقلت خطبة العدوة القروية من مسجد الأشراف المذكور إلى القرويين وأصبح هو المسجد الجامع في تلك العدوة كلها وابتدأ نجم القرويين يلمع في سماء العلم منذ أواخر القرن

الثالث وأوائل الرابع، وما كاد القرن الرابع يبلغ النصف حتى كان مثل عبدالله بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة والنوادر والذى يعرف بمالك الصغير يشد الرحلة إلى أحد رجاله وهو دراس بن اسماعيل المتوفى سنة ٣٥٧ هـ وفى هذا العهد كان أيضاً أبو جيدة ابن أحمد وهو فقيه فاس ومحررها من سطوة عامل المنصور بن أبى عامر . ولا شك أنه كان أحد أساطين هذه الكلية وممن عملوا على رفعة شأنها وعلو قدرها

وتتوالى حلقات السلسلة حتي تصل إلى العصر الحاضر مؤلفة من رجال وقفوا حياتهم على خدمة التشريع الاسلامى تحت راية مالك وأصحابه فبلغوا به الغاية التى ما بعدها غاية فى الكمال ، وطارت لهم شهرة مطبقة فى أرجاء العالمين الشرقى والغربى . فما منهم إلا إمام فتوى ومجتهد مذهب مثل الفقيه ابن عمران الفاسى المتوفى سنة ٤٣٠ والفقيه ابن محمد صالح المتوفى سنة ٦٣١ والفقيه راشد الفاسى المتوفى سنة ٦٧٥ والفقيه أبي الحسن الصغير المتوفى سنة ٧١٩ والفقيه أبى عمران العبدوسى المتوفى سنة ٧٧٦ والفقيه القورى المتوفى سنة ٨٧٢ والفقيه المشارك أبى عبد الله بن غازى المتوفى سنة ٩١٧ والفقيه أبى على بن رحال المتوفى سنة ١١٤٠ والفقيه الرهونى المتوفى سنة ١٢٣٠ وغيرهم

وفى الحقيقة أن أكثر الجهود فى الكلية فى كل عصر كانت موجهة إلى هذه الناحية من التعليم، ومعظم إنتاج رجالها كان فى هذا العلم : علم الفقه وما إليه على مذهب مالك رحمه الله حتى ليصح القول إن أهل كل بلاد لم يخدموا مذهبهم بقدر ما خدمه أهل المغرب، وإن المذهب المالكى لم يصل إلى ما وصل إليه من الخصب والنماء والنضوج — حتى أن أتباع غيره من المذاهب ربما اضطروا إلى الأخذ عنه والاقتباس منه كما فى بعض قوانين المحاكم الشرعية بمصر — إلا بفضل القرويين وما أبدوه من الهمة الصادقة فى هذا السبيل (يتبع)

« طنجة » عبد الله كنون الحسنى



في حادث العراق

جناية الأقدار

للأستاذ محمود غنيم

كلمة أوحى بها إلى حادث العراق الأليم على أثر ما قرأته من حملات بعض غير المنصفين من كتابنا المصريين وعلى الأخص في جريدة الأهرام

أمر به سَبَقَ القضاءُ الجاري ... ما حيلةُ الإنسان في الأقدارِ
لا تأخذوا بالذنب غيرَ جُناته ... إن الصوابَ تلمُّسُ الأعذارِ
الرُّزءُ يذهب بالعقول جلالُه ... فَحَذَارِ من شَطَطِ المقالِ حَذارِ
إن تسرفوا في الاتّهام جَنَيْتُمُو ... أَثَماً على القُطر الشقيق الجارِ
هي أمةٌ وَزَرَ امرؤٌ من أهلها ... أفتثقلون الكلَّ بالأوزارِ ؟
اللهُ يعلم أنهم ما أضمروا ... للنيل غيرَ الحبِّ والإكبارِ
أوَ لم يُصَبْ «سعدٌ» بأيدي أمةٍ ... تَفْدِيه بالأسماع والأبصارِ
إن الذين أصاب «سيفاً» سهمُهُمْ ... مِنْ دمعهم غسلوه في أنهارِ
ولو استطاعوا لافتدَوهُ من الحِمَا ... مِ بألف سيفٍ منهمو بتّارِ
قالوا: العراقُ ومصرُ قلنا: بل هما ... مِصْرانِ بل مصرٌ من الأمصارِ

* * *

هذا أبٌ أودى به نَزَقُ ابنه ... ماذا تقول لِصِبْيَةٍ أغْرارِ ؟
ماذا تقولُ لنائبٍ عن رُشده ... يَجْني جنايتَه وليس بدارِ ؟
ما حاد عن سَنَن العدالة آخذٌ ... لغريمه من نفسه بالثارِ
عُذْرُ الشبيبة طيشُها والخطءُ ما ... فعلوه عن عَمْدٍ وعن إصْرارِ
لا كان مخترع «الرصاص» فإنه ... باع المنونَ رخيصةَ الأسعارِ

* * *

بغدادُ عذراً للكنانة إن قست ... في عتبها والعَتْبُ للأحرارِ
أوما نظرت إلى الكنانةِ أعيناً ... تَهْمِي وأفئدةً بغير قرارِ ؟
إنا لنرخصُ في سبيل الوُدِّ يا ... بغدادُ ما يغلو من الأعمارِ
وهو الودادُ إذا عُراه توثَّقتْ ... أضفَى على الآثام كلَّ ستارِ
إحسانُ من عاديتَ كلُّ إساءةٍ ... وكبارُ من صافيتَ غيرُ كبارِ

* * *

هـذا شهيد العلم عزَّزْنَا به ... مَنْ راح من شهدائنا الأبرارِ
خلقَ الجهادُ لنا سواءٌ عندنا ... مَنْ بالحديد يموت أو بالنار
والعلمُ مختلِفُ الضحايا كم طوى ... من سابحٍ وقضى على طيّارِ
يا رُبَّ مخترعٍ يروح ضحيةً ... للكشف عن سرٍ من الأسرارِ
ومعلِّمٍ قد راح يبذلُ نفسه ... بذلَ الكرام لناشئينَ صِغارِ
تمتصُّ أفواهُ الشبيبة رُوحَهُ ... مثلَ امتصاص النحل للأزهارِ

* * *

«عزمي» إذا التأمتْ جراحُكَ في غدٍ ... وبرئتَ فاشكُرْ للطيف البارى
أنت ابتدأتَ رسالةً فأتمَّها ... واهزأْ بما تَلْقَى من الأخطارِ
املأ مكانك في العراقِ وقل له ... لا يعرف الجبنَ الأشمُّ الضاري

محمود غنيم

انت دير الهوى وشعرى صلاة (*)

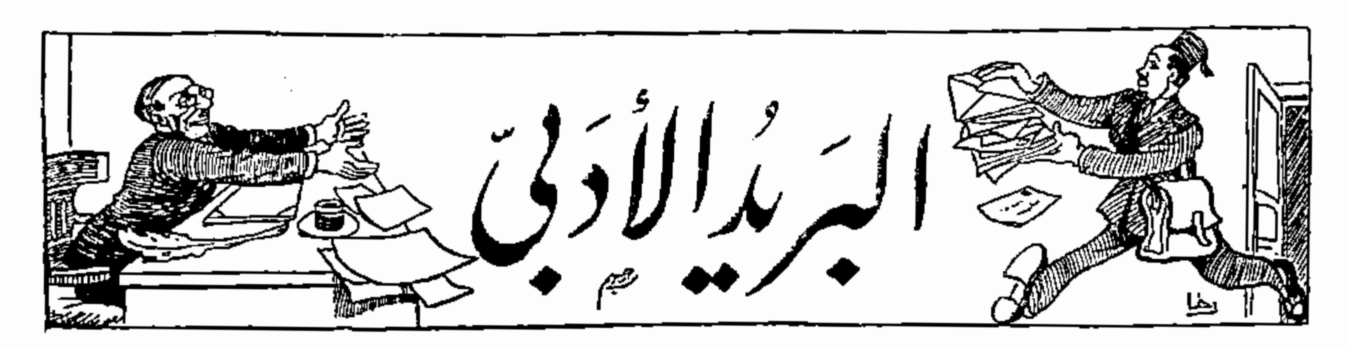
للأستاذ محمود حسن إسماعيل

« إلى غمامتي الشاردة ... أهدى هذه الصلاة »

أقبلي كالصّلاة رقرقها النّسـك بمحراب عابد متبتّل
أقبلي آية من الله عليا زفّها للفنون وحي منزّل
أقبلي فالجراح ظمأى! وكأس الـحبّ ثكلى! والشّعر ناي معطّل
أنت لحن على فمي عبقريّ وأنا في حدائق الله بلبل
أقبلي... قبل أن تميل بنا الرّيـح! ويهوى بنا الفناء المعجّل
زورقي في الوجود حيران شاك مثقل بالأسى، شريد مضلّل
أزعجته الرّياح، واغتاله اللّيـل بجنح من الدياجير مسبل
فهو في ثورة الخضمّ غريب خلط النّوح بالمنى وتنقّل
أقبلي يا غمام روحي فالشّط (م) بعيد! والرّوح باليأس مثقل
وغمام الحياة أغشى سوادي (م) ونور المنى بقلبي ترحّـل
أنا ميت تغافل القبر عنّي وهو إن يدر شقوتي ما تمهّل
فاسكبي لي السّنا وطوفي بنعشي ينعش الرّوح سحرك المتهلّل
أنت نبعي، وأيكتي، وظلالي وخميلي، وجدولي المتسلسل
أنت لي واحة أفيء إليها وهجير الأسى بجنبيّ مشعل
أنت ترنيمة الهدوء بشعري وأنا الشاعر الحزين المبلبل
أنت تهويدة الخيال لأحزا ني بأطياف نورها أتعلّل
أنت كأسي وكرمتي ومدامي والطّلا من يديك سكر محلّل
أنت فجري على الحقول، حياة وصلاة، ونشوة، وتهلّل
أنت تغريدة الخلود بألحا ني.. وشعر الحياة لغو مهلهل
أنت طيف الغيوب رفرف بالرّحـمة والطهر والهدى والتبتّل
أنت لي توبة إذا زلّ عمري وصحا الإثم في دمي وتململ
أنت لي رحمة براها شعاع هلّ من أعين السّما وتنزّل
أنت لي زهرة على شاطئ الأحـلام تروى بمهجتي وتظلّل
أنت شعر الانسام وسوسة الفجـ ر، وذابت على حفيف السّنبل
أنت سحر الغروب، بل موجة الإشـ
راق عن سحرها جناني يسأل
أنت صفو الظّلال تسبح في النهـر وتلهو على ضفاف الجدول
أنت عيد الأطيار فوق الروابي أقبلي! فالرّبيع للطير أقبل...
أنت هولي وحيرتي وجنوني يوم للحسن زهوة وتدلّل
أنت دير الهوى وشعري صلاة لك طابت ضراعتي والتذلّل
أنت نبع من الحنان، عليه أطرق الفنّ ضارعاً يتوسّل
أعين للخشوع تغرى، فخلّيـها على لوعتي تغضّ وتسبل
واتركيها وسحرها يتمادى علّما(1) «بابل» بنجواه تشغل
هو فنّي، وملهمي... فابعثيه فهو من زهوه شحيح مبخّل
يتغافى على الجفون، فإن رحـت أناجيه لجّ في الكرى وتوغّل
وانتشى من سناك وانساب في لحـظك يحسو الضياء منه وينهل
وانبرى من جفونك البيض كالأقـدار يردي كما يشاء ويقتل
ليت لي من صراعه كلّ يوم غزوة في سكون قلبي تجلجل
ولك الصوت ناغما عاده الشّو ق فأضحى حنينه يترسّل
نبرات كأنّها شجن الأو تار في عود عاشق مترحّل
أو حفيف الأذان في مسمع الفجـر ندىّ الصّدى، شذىّ المنهل
أو غناء الظّلال في خاطر الغد ران شعر في الصّمت عان مكبّل
أو نشيد أذابه الأفق النّا ئي، وغنّاه خاطري المتأمّل!
ولك البسمة الوديعة.. طهر وصفاء، وصبوة، وتعزّل
لذة(2) الهمس في دمي تنقل الرو ح لواد بصفو عمري مظلّل
فاسكبيها على جناني، وخلّي سحرها في مشاعري يتهدّل!
ولك الهدأة التي تغمر الحـسّ فيروي من السّكون وينهل
واحة للجمال، قلبي فيها من أسى الدهر ناسك متعزّل
علمتني ظلالها كيف أنسى صخب الهم وهو عصف مزلزل
ولك العفّة التي عاد منها «مريميّ» السّتور فوقك مسبل

(١) من ديوان (هكذا أغنى) الذى يظهر حديثاً

(١) لعلما (٢) لذيذة



مؤتمر دولي للقوانين ودعوة الأزهر للاشتراك فيه

تلقى صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر كتاباً من جامعة جوهانبرج يقول إن فريقاً من علماء القانون ومن أعضاء مؤتمر القوانين الذي عقد في السنة الماضية في هولندا واشترك فيه الأزهر فكروا في إقامة مؤتمر عالمي للقوانين يشترك فيه جميع الهيئات والجامعات التي فيها دراسات قانونية ويشترك فيه كذلك كبار علماء القانون والتشريع في العالم كله

ثم جاء في كتاب الجامعة أنها ترجو أن يستطيع الأزهر المساهمة في العمل لنجاح هذا المؤتمر بإبداء الملاحظات والاقتراحات التي يرى إبداءها على فكرته وموضوعاته وأن يساهم بقسط من المعاونة الأدبية فيه

ثم قال إن أبحاث المؤتمر ستشمل جميع القوانين والتشريعات والمبادئ التي تؤدي إلى تقدم البشرية وتقارب قوانينها ومن التشريعات التي تضمنت قسطاً كبيراً من المبادئ القانونية السامية في الشريعة الاسلامية

أندريه موروا في الخالدين

من أنباء باريس الأخيرة أن الكاتب الفرنسي أندريه موروا انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية في المقعد الذي خلا بوفاة « رينيه دوميك » رئيس تحرير مجلة العالمين والذي كان سكرتيراً دائماً للأكاديمية

وأندريه موروا ابن صاحب مصانع كبرى للنسيج في مدينة « روان » وهو اليوم يتولاها أيضاً فتدور المصانع على خير وجه يدر المال ، وتدور المطابع في باريس بكتبه فتدر المال والمجد

لفت أندريه موروا الأنظار بقصة «صمت الكولونيل برمبل» إذ يجد فيها خلاصة تجاربه واتصاله بالانكليز في أثناء الحرب عندما كان ضابط اتصال نظراً لتضلعه في اللغة الانكليزية ، هذا التضلع الذي ما لبث أن ظهر أثره في كل كتبه بعد ذلك إذ جعل أكثرها لتاريخ حياة أبطال الانكليز في الأدب والسياسة مثل بيرون وشلي ودزرائيلي كما كتب حياة تورجنيف والماريشال ليوتي ، فضلاً عن « محاورات في القيادة » و « صور انكليزية » و « مطالعات في ديكنز » ثم محاضراته في جامعة اكسفورد التي لفتت إليه جميع الأنظار

هذا وقصص موروا من أروج القصص الأدبية والجمهور يتهافت عليها في كافة أنحاء المعمورة. ومن خير ما وصفه به صديقه أندريه بيلي قوله : إنه الذكاء ، وطيبة القلب ، والحساسية ، والاستعداد الدائم للفهم والعطف . . . ليس فيه من التعالي أو التنائي شيء . وكأن نجاحه العظيم السريع جاء مفاجئاً بحيث لم يتبينه هو ذاته ولم يقدره قدره ! »

وأندريه موروا صديق عزيز لمصر ، زارها أكثر من مرة

فتعالَيْ نَغيبُ عن ضجَّة الدُّنـــيا ، وَنمضي عن الوجود ونرْحَلْ

وَإلى عُشّنا الجميلِ ... ففيهِ هَرَجٌ للهوى ، وظِلٌّ ، وسلسَلْ

وعصـــافيرُ للمُنى تَتَغَنَّى بالترانيم بين عُشْبٍ وَجدْوَلْ

وَغرامٌ مُقدَّسٌ ، كاد يَضْوى نُورُهُ العذْبُ في سَمانا ويُشْعَلْ

وَوَفاء يكاد يَسْطَعُ للدُّنــيا بِشَرْعٍ إلى المحبِّين مُرْسَلْ

***

عادَ للعُشِّ كلُّ طَيْرٍ ، ولم يَبــقَ سِوى طائرٍ شَريدٍ مُخبَّلْ ..

هو قَلْبي الذي تناسَيْتِ بَلْوَا هُ فأضحَى على الجِراح يُوَلْوِلْ !

أَقبِلي .. قبلَ أن تميلَ به الريـــحُ ، ويَهوِي به الفَناءُ المعجَّلْ !

« أَقبِلي ... فالجراحُ ظمْآى ! وكأْسُ الـ حُبِّ ثَكْلَى ! والشِّعْرُ نايٌ مُعطَّلْ ! »

(المجمع اللغوي الملكي بمصر) محمود حسن اسماعيل

ويحمل لها كل مودة ، وفى نيته أن يخصص لها كتاباً من كتبه .

العربية الفصحى فى تدريس المواد

أذاعت وزارة المعارف على حضرات المراقبين والمفتشين ونظار المدارس الكتاب التالي :—

كثرت الشكوى من ضعف التلاميذ فى اللغة العربية الصحيحة فى تدريس المواد ، ولهذا توجه وزارة المعارف نظر حضرات المفتشين ونظار المدارس إلى مراقبة تدريس المواد التى تلقى باللغة العربية سواء أكانت علمية أم أدبية ، ووجوب إلقائها بلغة عربية سليمة ، والبعد عن استعمال العامية حتى تتمكن فى نفوس التلاميذ ملكة اللغة الفصحى ويسهل عليهم الحديث والكتابة بها . وفى مكنة الأساتذة أن يبسطوا أسلوب اللغة الفصحى حتى تكون فى متناول جميع التلاميذ على اختلاف أعمارهم وثقافتهم

الثقافة الإسلامية فى المدارس الثانوية

يهتم وزارة المعارف بتعزيز برامج التعليم فى المدارس الثانوية ببرنامج مفصل عن الثقافة الاسلامية ، يدرس فى السنتين الرابعة والخامسة ، وقد عهد معالى الوزير إلى لجنة مؤلفة من بعض مفتشى اللغة العربية بالوزارة وكبار رجال التعليم وضع هذا البرنامج بحيث يمكن البدء بتنفيذه فى السنة الدراسية القادمة

وسيشمل هذا البرنامج بحوثاً مهمة تدور حول التاريخ الاسلامى فى أزهى عصوره ، والبطولة الاسلامية والسيرة المحمدية الشريفة .

حول نظرية التطور

عرض الأستاذ على الطنطاوى فى نقده لشعر الأستاذ العقاد فى الجيبون لنظرية التطور وذكر أنها لم يؤيدها العلم ، وكنا نود لو يرشدنا الأستاذ الفاضل إلى عالم يحترم علمه يدحض هذه النظرية التى غزت جميع المعارف البشرية وبها سهل تعليل كل نظم الحياة . أما إذا كان اعتماد الأستاذ على ما ينشر فى الصحف الرخيصة من أخبار مشعوذى العلم الذين يعارضون النظرية ظناً منهم أنها تعارض الدين ، فهذا تملق رخيص لعقلية جمهور القراء لأن خصومها لا يعدون بعض جهلة القساوسة الذين يرون فيها الخطر الداهم على مذاهبهم ، فى حين أن الطبقة المستنيرة من رجال الدين فى انجلترا يرون فيها ما يؤيد دعوامم الدينية ، لذلك ترى المطران انج أبرز شخصية فى الكنيسة الانجليزية يعترف بها ، ويعظ بها فى كنيسته .

والنظرية ليست حديثة كما ذكر الأستاذ طنطاوى فقد بصر بها فلاسفة الاغريق والعرب حتى جاء دارون وجمع شتات الأدلة العلمية ونشر كتابه أصل الأنواع ١٨٥٨ ، فكان أول بحث مؤيد بالأسانيد العلمية فى هذا الموضوع تلاه أبحاث كثيرة من علماء آخرين أيدوا وجهة نظر دارون ، مثل هكسلى وولاس وهيكل والثير ارثر كيث . ومن المفيد أن أذكر أن ابن خلدون كان مغرقاً فى إيمانه بالتطور فقد قال إن الجماد يتحول إلى نبات والنبات إلى حيوان والحيوان إلى إنسان

أما اعتراض الأستاذ على معالجة فنون العلم شعراً فهو اعتراض ليس له وجاهة لأن نظرية التطور علم وفلسفة ، فهى رغم حقائقها العلمية لها جانب فلسفى يبعث على التأمل ، وقد عاش فى القرن الماضى بانجلترا شاعر لا يحضرنى اسمه الآن أطلق عليه شاعر التطور لأنه عالج فلسفة التطور شعرا . وقد نظم المرحوم الزهاوى شعرا عن التطور أعجب به كل من قرأه

والدليل على أن لها فلسفة أن سبنسر بنى فلسفته على نظريات التطور فأطلق عليه فيلسوف التطور . وما يقال عن نظرية التطور يقال عن كل علم من أن له جانباً فلسفياً ، وعلى ذلك لا يمتنع أن يعالج الدكتور ناجى نواحى الطب شعراً . وقد قرأت للعلامة ما كنزى كتابا فى الفيسولوجيا ختمه ببحث فلسفى بديع عن الموت لو وضع فى قوالب الشعر لكان تحفة فنية رائعة . وقد نشرت مجلة طبية فرنسية بباريس تدعى فيلسفون منذ أعوام شعرا لطائفة من أطباء فرنسا عن تأملاتهم فى الحياة من الوجهة العلمية يعد بحق نوعا جديداً فى الأدب الفرنسى . وقس على ذلك المهندس والرياضى ، ما دام وراء كل علم جانب فلسفى للتأمل . وبديهى أننى لا أقصد أن توضع حقائق العلم فى قوالب الشعر كما وضعت قواعد النحو فى ألفيه ابن مالك ، لأن هذا ليس من الشعر فى شىء

كامل نصيف
عضو بالمعهد الفلسفى البريطانى بلندن

الجموع

جاء فى (قصة الكلمة المترجمة) فى الجزء الماضى : « لكنه قاله فى (الرسالة) قبل ذلك : « وكذلك قوله الكل (أي قول ابن القارح) ادخاله الألف واللام مكروه » (قاله) صوابه قال — أعنى

أبا العلاء — وقولى ابن القارح خطأ ، صوابه الحلاج . وقد وردت (الـكل) فى أبيات له رويت من قبـل فى (رسالة الغفران) قال الحلاج :

ياسرَّ سرٍ يدق حتى يجلّ عن وصف كل حىّ
وظـاهرا باطنا تبـدى من كل شيء لـكل شىّ
ياجملة الـكل لستَ غيرى فما اعتـذارى اذن الىّ

قال أبو العلاء : « قوله (الىّ) عاهة فى الأبيات ، إن قيّدَ فالتقييد لمثل هذا الوزن لا يجوز عند بعض الناس ، وأن كَسَر الياء من (الىّ) فذلك ردىء قبيح . وأصحاب العربية مجمعون على قراءة حمزة : (وما أنتم بمصرخىّ) بكسر الياء ، وقد رُوى أن أبا عمرو بن العلاء سئل عن ذلك فقال إنه لحسن تارة إلى فوق وتارة الى أسفل ، يعنى فتح الياء فى مصرخى وكسرها ، والذين نقلوا هذه الحكاية يحتجون بها لحمزة ويذهبون إلى أن أبا عمرو أجاز الكسر لالتقاء الساكنين ، وان صحت الحكاية عنه فما قالها إلا متهزئاً على معنى العكس ، وهذا كما يقول الرجل لولده إذا رآه فعل فعلا قبيحا : ما أحسن هذا ! : وهو يريد ضد الحسن »

الاسكندرية (***)

سؤال الى الأستاذ سيد قطب

تقول فى العدد (٢٥٩) من الرسـالة ، إن العقاد (يعنى بالحياة النابضة فى ضمائر الأشياء ، قبل الحياة الظاهرة على سطوحها ، ويعنى بالحياتين معاً قبل العناية بأشكالها وصورها ، ويلتفت للخوالج النفسية قبل أن يلتفت إلى الصور الذهنية ، ويعنى بهاتين قبل العناية ببهارج الأسلوب وزخارف الطلاوة)

١ — فهل هناك حياة نابضة فى ضمائر الأشياء غير الحياة الظاهرة على سطوحها ؟ أو ليست الحيـاة واحدة فى الضمائر والسطوح ، وفى الأفئدة والقلوب ، وفى الجوارح والأعضاء ؟ وإذا كان للحى الواحد حياتان كما تقول ، فما حدّ كل واحدة منهما ، وما هو وصفها الذى تختلف به عن أختها ؟

٢ — وهل الحياة الظاهرة على سطوح الأشياء — على حد تعبيرك أنت — غير أشكال الحياة وصورها ؟ وما هو الفرق بينهما وكيف تكون العناية بهذه قبل تلك ؟

٣ — وما هو الفرق (العلمى) بين الخوالج النفسية والصور الذهنية ؟ وهل تعنى بالصور الذهنية المحاكات العقلية أم تعنى بها ما يسمى بتداعى الأفكار ، والخيال المرجع ، فى علم النفس ؟ وما معنى قولك : أدب ذهن ، وأدب نفس ؟

٤ — وهل تريد من قولك إن العقاد يعنى بهذا قبل عنايته بالأسلوب والطلاوة — أن من كانت له هذه العناية بالحياة النابضة ، والخوالج النفسية ، كان شاعراً ولو جاء بأسلوب ركيك ، ولغة مرذولة ، وعىّ فاضح ؟

هذا ما نحب أن تبينه لنا ، فما فهمنا والله ما تريد منه . وإن فى كل فقرة لك لمجالاً لمثل هذه الأسئلة حين تتكلم فلا نفهم عنك ، وتأتى بألفاظ لا نعرف لها مدلولا ، وأنت بين شيئين : إما أنك تذهب بنفسك علواً حتى ما يتعلق بك قارئ ، وإما أنك لا تدرى بالضبط) معانى ما تقول ...

(دمشق) ع ...

بين الرافعى والعقاد

جاء فى بحث الأستاذ سيد قطب عن العقاد والرافعى فى (الرسالة رقم ٢٦٠) ما اعتبره الأستاذ تناقضاً بين تلخيص الرافعى لرأى الفيلسوف شوبنهور فى الجمال وبين رأى الفيلسوف الحقيق

وبرجوع القارئ إلى ذلك البحث وتدبّره لا يذهب مع الكاتب فيما ذهب إليه من وجود ذلك التناقض . ولعل الأستاذ قطب يقرنا على ذلك

فقد قال شوبنهور ما نصّه : « إن الأشياء « تسرنا » كلما قربت من عالم الفكرة وابتعدت عن عالم الارادة » وقال الرافعى فيما اعتقده رأياً للفيلسوف « إن الأشياء « تحزننا » كلما ابتعدت عن عالم الفكرة واقتربت من عالم الارادة » ، ثم قال : « وإنها « تفرحنا » كلما ابتعدت عن عالم الارادة واقتربت من عالم الفكرة »

فانه واضح من مراجعة الـكلام بأنه لا تناقض بين قولى الرافعى الأول والثانى فهما رأى واحد لا تناقض فى مضمونه . ولعل الأستاذ قطب قد اعتبر عكس الألفاظ فى شقى القول أساساً للتناقض وقد غاب عن خاطره أن « تحزننا » عكس « تفرحنا » .

ثم نحن لا نجد (مسخا) لرأى الفيلسوف لأن الرافعى لا يناقض فى أى مـن قوليه رأى الفيلسوف « وهما ينطبقان عليه تمام الانطباق »

ونحن إن أخذنا على الأستاذ قطب عدم تدبره فى الحكم فى هذه الحالة فنحن نأخذ على الأستاذ الرافعى ، رحمه الله ، عدم وثوقه بترجمة الأستاذ العقاد مع أنه انتهى فى تلخيص رأى الفيلسوف إلى ما ترجمه العقاد

وليسمح لنا القارئ إن نحن طالبنا الكاتبين عن أدب الرافعى

والعقاد ألا يتخذوا من عبارات وألفاظ مستهجنة (جاءت معبرة عن حالة عاطفية) أساساً يدعمون به حكمهم على كل من الأديبين الكبيرين. ونحن ندعوهم إلى بحث شخصيتيهما الأدبية فى مخلفاتهم التى تركاها وهم أكثر ما يكونان سكوناً وهدوءاً فيجيء حكمهم نزيهاً معتبراً فى نظر القراء ويسلمون من كثير من المهاترات التى تصيبهم بين الحين والحين

(فلسطين) علي كمال



إلهـــام

قصة مصرية

تأليف الأستاذ نقولا يوسف

هذه قصة دفعها إلىّ صديق من أصدقاء المؤلف، ورجانى أن أقرأها وأرى رأيى فيها؛ وما سهلٌ على كاتب من الكتاب أن يتحدث عن كتاب هو مرجوٌّ أن يتحدث عنه ويرى رأيه فيه، فإن ذلك خليق أن يصبغ الرأى بلون من ألوان الهوى تختفى وراءه بعض الحقيقة؛ ولكنى مع ذلك سأحاول أن أكتب، وسأحرص فى هذه المحاولة أن أكون ناقداً وحسب...؛ ولن يفوت القارئ بعد ما قدّمتُ أن يعرف الرأى فى هذا الكتاب على حقيقته، وأن يستخلصه مما قد يكون عالقاً به مما تزيّنه النفس على صاحبها لتخدعه عن رأيه...

وبعد فهذه قصة مصرية ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة، ولم ينشرها إلا منذ أشهر، وكان مؤلفها يوم ألفها شاباً فى الثالثة والعشرين؛ وما بدٌّ لمن يؤلف مثل هذه القصة فى مثل هذه السن أن ينظر إلى نفسه قبل أن ينظر إلى ما يحيط به؛ وهذا شىء لا ينكره المؤلف ولا يعترف به كل الاعتراف؛ فهو يقول فى تقدمة هذه القصة:

« أعددت قصة إلهام للطبع فى سنة ١٩٢٧ . . . . . . ؛ ثم أرغمنى كثير من ظروف الحياة على أن أهمل أمرها عشر سنوات، وفى هذه السنة أعدت قراءتها، وكنت فى أثناء تلك القراءة كمن يسير بين قبور عزيزة تضم رفاتاً مقدساً وذكريات تثير الأشجان

ومع أن هذه القصة لا تصور حياة المؤلف إلا أن فيها بعضاً من نفسه وتجاريبه ومشاهداته ... »

أما الغاية التى يقصد إليها المؤلف من قصته فإنه يقول عنها: « ... وسترى أنها قصة مصرية لا تدور حول غاية معينة من أنواع الاصلاح، يغلب عليها ذلك النوع التصويرى الذى يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر، لا سيما ما ينساب منها أحياناً فى الرأس بلا ترتيب . . . »

وهذا القول الذى يقوله هو حق إلى حد ما؛ فهو لم ينشئها ناظراً إلى غاية معينة من غايات الاصلاح وإن كان فيها كثير من الدعوة إلى الاصلاح مبثوث فى تضاعيف القصة وفى أثناء الفصول بلا ترتيب ولا نظام، وتجد أكثره فيما جعل من الحوار على ألسنة أبطال القصة؛ بل لقد كان حرصه على أن يثبت رأيه ودعوته إلى الاصلاح داعياً له إلى أن يقحم كثيراً من القول فى أساليب المحاورة لغير وقته، فكانت بعض المحاورات تطول أحياناً طولاً يدعو إلى الملالة ويبعد بموضوع المحاورة عن أصله وداعيه. والمحاورة كما يعرف كل من عالج القصة أو درس فنها — ليست موضعاً ملائماً للدعوة إلى الاصلاح وبيان أوجه الرأى فيه، ولكنها وسيلة من البيان فى أوجز عبارة تصل بين رأى ورأى أو حادثة وحادثة مما يفيض به موضوع القصه؛ ولن يكون الحوار أبداً وسيلة إلى بث فكرة أو دعوة إلى إصلاح إلا بقدر غير ملحوظ ولا مُدرَك فى جملته. إنما يكون ذلك فى الحادثة لا فى الحديث، وفيما يحكى لا فيما يُنطق به ...

على أننا وقد وافقنا المؤلف على أنه لم يكن له غاية من قصته فى الدعوة إلى نوع من الاصلاح، نقول إن « ذلك النوع التصويرى الذى يصور المناظر والشخصيات والميول والخواطر »

هو فى نفسه غاية من الغايات الرفيعة يقصد إليها كثير من أهل الفن ؛ وقد بلغ المؤلف فى ذلك وأجاد وانتهى إلى غاية . ولقد كنت أقرأ بعض ما كتب المؤلف من الفصول التصويرية فى هذه القصة فأشعر بكثير من اللذة والاعجاب ؛ وأجمل ما قرأت من هذه الفصول وصفه فى الفصل الأول عيد « شم النسيم » كما يحتفل به كثير من طوائف المصريين فى الريف والحضر ؛ وفى الفصل الرابع وصف حياة الشاب الرزب تتراءى الآمال حوله فى الزواج والمصاهرة ، وتعترك حوله أمانى الأهل والأصدقاء ؛ وفصول أخرى لا تقل عن هذين الفصلين جمالا وروعة

أما عناية المؤلف بالفن ومقدار توفيقه فيه ، فما أريد أن أسهب فى الحديث عنه ؛ فان من الظلم أن تكلف فتى فى الثالثة والعشرين أن يكون له من السيطرة على نفسه وعلى وجدانه ما يساعده على حبك قصة طويلة كهذه القصة على ما يقتضى فن الرواية على وجهه ؛ إذ كان كل هم الشاب فى مثل هذه السن أن يحشد كل خواطره وأمانى نفسه ومصورات خياله فيما يكتب ؛ فانه ليصعب عليه أن يغفل معنى أو فكرة أو حادثة تُلحّ على نفسه ؛ ومن هنا جاءت قصته — كما قرأتها — وكأنها فى نفسى قصتان لا رابطة بينهما إلا فيما تبدأ القصة وفيما تنتهى ؛ أما فى العرض وفى تسلسل الرواية فإن القارئ يكاد يحس فى أكثر من موضع أنه انتقل من قصة إلى قصة فلا يشعر أنه فيما كان فيه إلا حين يوشك أن يبلغ نهاية الفصل . وذلك شيء حقيق بالنظر والتدبر عند من يريد أن يكون قاصّاً موفقاً ؛ فان أول شرط القصة هى أن تتسلسل بحوادثها تحت عينى القارئ حتى تبلغ بذلك أن تنقله من جو إلى جو فيسير فى قراءتها وكأنه يعيش بين أبطالها وعلى مقربة من زمانها ومكانها ؛ وما أنكر أن المؤلف قد بلغ إلى ذلك فى بعض الفصول ولكنه لم يبلغ إليه فى جملة القصة ؛ على أن هذا التنافر فى موضوع الرواية لا يستمر إلى نهايتها ؛ فما هو إلا أن ينتهى القارئ إلى حدّ ما ثم تسير القصة إلى خاتمتها طبيعية لا تكلف فيها ولا اصطناع ، حتى تنتهى إلى نهايتها فى حيلة موفقة

على أن هذه القصة — وهى مصرية المغزى والموضوع فى جملتها — تبتعد كثيراً فى بعض فصولها وحوادثها عن المألوف من عاداتنا وما نعرف ، فهى لا تصوّر صورة مصرية عامة يراها كل أحد ؛ ولكنها صورة خاصة قامت فى نفس كاتبها فى يوم ما فرآها على التعميم حقيقة بالتسجيل فى قصة يريد أن يحمل بها صورة لبعض ما فى مصر ؛ ولقد كنت أريد أن ألخص موضوعها فى هذا الفصل لأعرضها عرضاً جلياً لمن يريد أن يعرف ، ولكنى أوثر أن يكون تعريفى بها من بعيد حتى لا أقطع الطريق على من يريد أن يقرأها بقلم مؤلفها ليعرفها العرفان الحق

أما أسلوب المؤلف فى الأداء فهو الأسلوب السهل الطبيعي ، لا تكلف فيه ولا صناعة ؛ وفيه إلى ذلك روح وعاطفة وقلب نابض ؛ تقرؤه فتعرف نفس كاتبه بما تجيش به من أمانى وآلام تراها مصوَّرة أدق تصوير وأبرعه ، فكأن وراء كل عبارة قلباً ينبض ، وكأن وراء الظلال من كل فصل نفسية سامية تؤمن بالمثل الأعلى إيمان الرأى والعقيدة ، وتقف جهدها على تحقيق المعنى الانساني العام في كل نفس وفى كل إنسان ؛ فهو أسلوب قصة ، وهو صرخات نفس حانقة ، وهو غيظ حبيس يتفجر نثراً وكتابة ، وهو أمانى وأحلام ، وهموم وأحزان ؛ وهو غبطة ورضا ، وسخط وألم . وإن فيه لمعانى جديدة وفكراً جديداً ...

ولكن ذلك كله لا يحمل الناقد المنصف على تجاهل ما فى أسلوب المؤلف من غلطات فى اللغة والنحو وفى استعمال الكلمات كان حرياً أن يتنزه عنها ؛ ولو أنها غلطات تعد لما كان من حقى أن أشير إليها هذه الاشارة ، ولكنها غلطات عامة ومتكررة بحيث لا تكاد تخلو صفحة من غلطة ... وإنى وقد قرأت للمؤلف وتذوقت فنه وأدبه لأجد من الخيانة أن أغض النظر عن هذه الغلطات ؛ فان كاتباً مثل مؤلف هذه القصة حقيق بأن يكون فى غد من أصحاب القلم والفكر فى هذا البلد لو كان أحرص من ذلك على لغته وعبارته ؛ وإن ذلك الأمل فى مستقبله الأدبى ليحملنى على أن ألفته إلى ذلك ليستكمل أدواته ويمهد لمستقبله

* * *

أما بعد فانها قصة مصرية ، وما تزال القصة الطويلة فى العربية شيئاً نحاوله فلم نبلغ فيه حد الكمال أو ما يقرب منه ؛ وأنه لفن رفيع يستحق العناية من أدبائنا ليسدوا نقص العربية فى هذا الباب ؛ فما يغيب عنى وقد ذكرت ذلك أن أثنى على المؤلف الفاضل لهذه المحاولة ؛ وما يغيب عنى مع كل أولئك أنها قصة ألفها مؤلفها منذ إحدى عشرة سنة وما زال يومئذ شاباً حدثاً يخطو خطاه الأولى إلى هذا المعترك الأدبي ؛ فاذا كنت اليوم أرى فيها ما يستحق الملاحظة والتعليق ، فانها ملاحظات على الأديب الناشئ نقولا يوسف الذى ألف قصة (إلهام) سنة ١٩٢٧ وهو فى الثالثة والعشرين من عمره ؛ وهو عندى غير الأديب الفاضل (الأستاذ) نقولا يوسف في سنة ١٩٣٨ ، الذى عرفه القراء فيما أنشأ بعد ذلك من مؤلفات لها خطر ومقدار وهو مع ذلك غير الأستاذ نقولا يوسف الذي نرجو أن يكون فى غد ...

(س)